

مجالات العمل التطوعي في الإسلام كما جاءت في السنة النبوية الصحيحة

بمّث علمي من إعداد

د. محمد بن عبدالله العامر

أستاذ مساعد بقسم الدراسات الإسلامية

جامعة القصيم - كلية العلوم والآداب بمحافظة الرس

من ٢٧٨٧ إلى ٢٨٥٠

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

فإن العمل التطوعي الذي يبذله الأفراد والمجموعات يعتبر عنصر إنتاج وبناء في حياة المجتمع، إذ يبقى للعمل التطوعي وزنه وتأثيره على مناحٍ كثيرة في الحياة، فجاء الإسلام وأعطى لهذا العمل التطوعي أهمية في حياة المسلمين ورتب الكثير من الأجر والثواب عليه، ليكون عبادة يتقرب بها المسلم إلى الله عز وجل، ومن هنا كان الإنسان المسلم يقوم بعمله التطوعي قربة إلى الله، وابتغاء الأجر منه عز وجل، لذا أحببت أن أبحث في هذا الموضوع فوجدت أن البحث في « مجالات العمل التطوعي في الإسلام » هو بحث شيق ولذيذ، لأنه يبين لنا كيف كان الإسلام سابقاً في ميادين العمل التطوعي وضارباً فيه في جميع مجالات الحياة، ليصبح العمل التطوعي في المفهوم الإسلامي عملاً واسعاً شاملاً لمناحي الحياة.

ولعلي أكون في هذا البحث قد أضأت شمعة في طريق طويل لم تتضح معالم إزاحة ظلمته إلا بالاعتصام بكتاب الله، وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

لنرجع قادة للعالم في العمل التطوعي، ونستعيد الريادة فيه، ونكون بحق كما رضي الله لنا حين وصفنا بأننا ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ

خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾^(١) فالله أرجو التوفيق

والسداد.

(١) آل عمران: ١١٠.

أسباب اختيار الموضوع:

- ١- حين تأملت كل حديث صحيح في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم حول العمل التطوعي ودرسته، وجدت أن البئر مليئة، وأن شرع الله قد ملاً الدلاء حول هذا الموضوع، فجاهدت لأنزع بدلوي ما يروي عطش أمة مسلمة، ويذكرها بنبع مائها.
 - ٢- أن الموضوع على أهميته لا يزال غفلاً من الباحثين، حتى علق في أذهان الكثير من المسلمين أن التطوع هو ما كان بمفهومه الفقهي الضيق، الذي يتحدث عن نوافل العبادات، فحاولت هنا أن أبين أن التطوع باب واسع، ومفهوماً بجره متلاطم وزاخر.
 - ٣- أن التأصيل الشرعي لهذه الشعيرة الربانية ولهذا العمل الإنساني الجليل، لا يزال بعيداً عن الواقع الذي تعيشه البشرية في عالم اليوم.
 - ٤- أن ثقافة التطوع صارت اليوم غائبة في ثقافة المسلم- إلا ما رحم الله- فحاولت إحياء جذوتها من خلال هذا الطرح المتواضع، لعلني أشعل بهذه الجذوة ما ينير الدرب لمن يأت بعدي، فيواصل نثر كناته، ويصيد من جوف الفرا.
- لهذه الأسباب مجتمعة أحببت الكتابة حول هذا الموضوع.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في أن التطوع اليوم صار داخلياً في حياة الناس في جميع المجتمعات والثقافات، وإن كان بتسميات أخرى، مثل «القطاع الثالث»، أو «المنظمات غير الحكومية»، أو «القطاع الخيري»، أو «المؤسسات الخيرية الأهلية»، أو «القطاع التطوعي»، أو «المؤسسات الوقفية»، أو «مؤسسات المجتمع المدني»، أو «المؤسسات غير الربحية»، أو «القطاع المستقل» ونحو ذلك من أسماء.

لذا كانت محاولتي للسعي في تحديد مجالاته التي جاءت بها سنة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم الصحيحة، لأساهم في إبراز هذه القيمة الإنسانية العالية، التي غفلنا عنها كثيراً، وأهمناها أكثر وأكثر، حتى صار العمل التطوعي اليوم غريباً بيننا نحن المسلمين، وذلك حين بدأت غربة ديننا، فألى الله المشتكى.

الدراسات السابقة:

لم أقف على بحث أو كتاب - من خلال بحثي و قراءتي المتواضعة - مستوف لموضوع مجالات العمل التطوعي في السنة النبوية الصحيحة، بل وجدت مقالات منشورة حول التطوع دون أن تؤصله من كتاب الله ومن ذلك:

رسالة علمية مطبوعة، وهي رسالة دكتوراه للدكتور عبدالله بن محمد المطوع تحت عنوان (العمل الخيري المؤسسي) دراسة وطنية ميدانية على مؤسستين خيريتين في المملكة العربية السعودية.

تحدث فيها المؤلف عن العمل الخيري الإسلامي المقترن بالدعوة، والمؤسسات الخيرية في المملكة العربية السعودية والدراسة الميدانية عن مؤسستين خيريتين في المملكة^(١).

وهناك دراسة للأستاذ معجب الحويقل عن (العمل التطوعي في الإسلام) تناول في تلك الدراسة أشكال الأعمال التطوعية في الإسلام ودورها في تحقيق التكافل الاجتماعي، ونماذج من المنظمات التطوعية في المملكة العربية السعودية، وأهمية العمل التطوعي في تحقيق الأمن في المجتمع.^(٢)

ودراسة للدكتور مانع الجهني - رحمه الله - وهو أحد أصحاب الخبرة في هذا المجال حيث رأس الندوة العالمية للشباب الإسلامي سنوات عديدة: عن «دور المؤسسات في الخدمات التطوعية بالمملكة العربية السعودية»، حيث تحدث في دراسته عن مفهوم العمل التطوعي، وأهميته وأركانه، ومشروعيته، وتناول عدداً من المنظمات التطوعية

(١) انظر د. عبدالله بن محمد المطوع. "العمل الخيري المؤسسي" دراسة وصفية ميدانية على مؤسستين خيريتين في المملكة العربية السعودية "ط.١، الرياض:

مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. سلسلة الرسائل الجامعية. ١٤٢٩هـ.

(٢) انظر معجب الحويقل. العمل التطوعي. مؤتمر العمل التطوعي والأمن في الوطن العربي. أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية. الرياض.

بتاريخ ٢٥-٢٧/٩/٢٠٠٠م.

بالمملكة العربية السعودية، وما هي أبرز البرامج التطوعية التي يمكن القيام بها، ومجالاتها، ثم تطرق للحديث عن كيفية إدارة العمل التطوعي المؤسسي. (١)

وكتاب للدكتور عبدالكريم بكار بعنوان (ثقافة العمل الخيري). كيف نرسخها. . وكيف نعممها) لكنه كتاب يفتقد إلى التوثيق والمراجع العلمية، حيث جاء فيه الكلام

سرداً بجميع صفحاته، دون أي توثيق للمعلومة. (٢)

وهناك كتاب تناول العمل التطوعي من منظور يغلب عليه الجانب الاقتصادي ولغة الأرقام، وهو كتاب (القطاع الثالث والفرص السانحة رؤية مستقبلية) للدكتور محمد

بن عبدالله السلومي. (٣)

وهذه الدراسات لم تتطرق إلى تأصيل مجالات العمل التطوعي في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم بل قد تذكر دليلاً أو دليلين عند الحديث عن مشروعية العمل التطوعي.

فمن هنا سعيت إلى أن أجمع الأحاديث الصحيحة عن الرسول صلى الله عليه وسلم الواردة في صحيح البخاري ومسلم، ومكتفياً بهما، لأن الأمة قد تلقتها بالقبول وعدم الرجوع إلى كتب السنن أو المسانيد، لأن أحاديثها فيها الصحيح والضعيف والبحث ليس مختصاً بالسنة لكي تُخرج أحاديثها ويحكم عليها بالصحة والضعف، ورجعت في التفسير والتوضيح إلى أوثق كتاب شارح لكليهما وهما «فتح الباري» لابن حجر في شرحه للبخاري، والنووي في شرحه لصحيح مسلم.

لأن الغرض من توضيح تلك الأحاديث هو توضيح معنى بعض الألفاظ التي قد تكون غير واضحة للمتلقي، أو لبيان حكم مستنبط ولقد أكون ذكرت غيرها وذلك لفائدة

(١) انظر د. مانع الجهني. دور المؤسسات في الخدمات التطوعية بالمملكة العربية السعودية المؤتمر الأول للخدمات التطوعية بالمملكة العربية السعودية. جامعة أم القرى. مكة المكرمة. بتاريخ ٢٨-٣٠/١٠/١٩٩٧م.

(٢) انظر عبد الكريم بكار. ثقافة العمل الخيري كيف نرسخها.. وكيف نعممها. القاهرة. دار السلام للطباعة والنشر. ١٤٣٣هـ

(٣) انظر د. محمد عبدالله السلومي. القطاع الثالث والفرص السانحة رؤية مستقبلية. ط ١. بدون ناشر. ١٤٣١هـ

وجدتها - عند ذلك الغير - دونهما وهذا قليل، والغرض من ذلك هو أن يقرأ القارئ لهذا البحث أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وهو مطمئن لصحتها ، وواثق بأن الرسول صلى الله عليه وسلم ارتضى هذه الأعمال، وذلك ليكون إتباعه لما هو صحيح وثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتحقق اطمئنانه، ويزيد رضاه فيعمل بمقتضاه.

خطة البحث: تضمن هذا البحث مقدمة ومبحثين:

المقدمة: وفيها أسباب اختيار الموضوع، وأهمية الموضوع، والدراسات السابقة وخطة البحث.

المبحث الأول: مفهوم العمل التطوعي، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: المفهوم اللغوي للتطوع.

المطلب الثاني: المفهوم الاصطلاحي للعمل التطوعي.

المبحث الثاني: مجالات العمل التطوعي في الإسلام كما جاءت في السنة النبوية الصحيحة وفيه مطلبان.

المطلب الأول: التطوع في مجال التعليم والتدريب.

المطلب الثاني: التطوع في مجال رعاية الطفل.

المطلب الثالث: التطوع في المجال الصحي.

المطلب الرابع: التطوع في المجال الثقافي.

المطلب الخامس: التطوع في مجال الحفاظ على البيئة.

المطلب السادس: التطوع في مجال رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة.

المطلب السابع: التطوع في أوقات الحروب والكوارث الطبيعية.

المطلب الثامن: التطوع في مجال الخدمات العامة.

الخاتمة وفيها: أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث.

المبحث الأول : مفهوم العمل التطوعي في الإسلام

المطلب الأول: المفهوم اللغوي للتطوع

حين نتصفح قواميس اللغة العربية نجد أن هذه المادة تدور حول مفهوم التبرع في فعل الخير دون فرض أو أخذ أجره عليه، فيخرج من هذا المفهوم اللغوي الأعمال التي يفعلها الإنسان لا بمحض اختياره، بل يكون مكلفاً بما يحكم وظيفته التي يأخذ عليها أجراً، أو بحكم تكليفه بعمل معين لقاء أجر محدد متفق عليه.

حيث جاء في لسان العرب « التطوع ما تطوع به الإنسان من ذات نفسه مما لا يلزمه فرضه . . والمتطوعة: الذين يتطوعون بالجهاد »^(١).

وقال صاحب معجم مقاييس اللغة: « وأما قولهم في التبرع بالشيء، قد تطوع به فهو من الباب لكنه لم يلزمه، لكنه انقاد مع خير أحب أن يفعله، ولا يقال هذا إلا في باب الخير والبر، ويقال للمجاهدة الذين يتطوعون بالجهاد المطوعة بتشديد الطاء

والواو، وأصله المتطوعة ثم أدغمت التاء في الطاء، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ

يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا

يَجِدُونَ إِلَّا جَهْدَهُمْ فَيسَخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢﴾، أراد الله -

والله أعلم - المتطوعين»^(٣).

وقال المعجم الوسيط: « ويقال طاع فلان طوعاً أي انقاد. »^(٤)

(١) ابن منظور. لسان العرب. ط٣. ج٨. بيروت: دار صادر. ١٤١٤هـ. ص١٤٣.

(٢) سورة التوبة: الآية ٧٩.

(٣) ابن فارس. معجم مقاييس اللغة. ط١. ج١ بيروت. دار إحياء التراث العربي ص٦٠٣-٦٠٤.

(٤) معجم اللغة العربية. المعجم الوسيط. ط٢. القاهرة. ١٩٧٢م. ص٥٩٧.

المطلب الثاني: المفهوم الاصطلاحي للعمل التطوعي

لا شك أن التعريفات الاصطلاحية تتعدد بتعدد المعرفين لهذا المصطلح وكذلك تختلف باختلاف التخصص العلمي، وما هو العلم الذي يُعرّف هذا المصطلح. وعليه فسيكون تعريف الفقيه مختلفاً عن تعريف اللغوي، وسيكون مختلفاً عن تعريف عالم الاجتماع، وكذلك سيكون مختلفاً عن تعريف الفيلسوف وهكذا. وسأحاول أن أذكر تعريفات متعددة لمصطلح (التطوع) ومرادفاته وذلك لكي تتضح صورة المصطلح ما أمكن، وذلك بتعدد المعرفين، وتعدد فروع المعرفة الإنسانية التي يتبعونها.

وكذلك لكي يظهر لنا أن التعريفات في المجالات الإنسانية دائماً ما تواجه الباحثين مشكلة في إيجاد تعريفات منضبطة ودقيقة لها، لأنها تختلف باختلاف المعرفين لها، واختلاف بيئاتهم وتخصصاتهم.

فمن هذه التعريفات:

١- مفهوم التطوع عند علماء الشريعة:

ولقد عرف علماء الشريعة التطوع بحسب سعة أفق هذا العالم وضيق أفق الآخر فبعضهم عرفه تعريفاً شاملاً لكل ما يطلق عليه تطوع أو يمكن أن يستوعبه المصطلح مستقبلاً، وبعضهم حصره في أمور العبادة المحضنة وحدها التي يتقرب بها إلى الله من صلاة وصوم ونحو ذلك.

فعرّفه بعضهم بأنه «تحمّل المرء فعل خير غير واجب عليه، راغباً فيه متبرعاً به من ذات نفسه»^(١).

(١) انظر ابن جرير الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق د. بشار عواد، وعصام الحرساني. ط ١. بيروت: مؤسسة الرسالة. ١٤١٥ هـ.

والتفت بعض المعاصرين^(١) للعمل الخيري وأهميته، واعتبره مقصداً من مقاصد الشريعة الإسلامية حين تحدث عن مقاصد التبرعات^(٢).

ومن الغريب أن هذا التعريف هو لعالم من العصور المتقدمة، وفيه وجدت هذا العمق في فهم المعنى ودلالاته.

وعندما أتيت لأرى تعريف علماء معاصرين لمفهوم التطوع كنت أتوقع منهم شمولية في التعريف وبعداً في الاحتواء، خاب ظني ووجدتهم قد حصروه في جانب العبادات المحضة فقط، مع أنهم عاشوا إلى وقت قريب وعرفوا وشاهدوا - وربما عملوا - في مؤسسات تطوعية.

فعرفه أحدهم بأنه: «التقرب إلى الله تعالى بما ليس بفرض من العبادات»^(٣).
وعرفه آخر بأنه: «ما شرع زيادة عن الفرض = النفل»^(٤).

وكان من الممكن لي أن أتجاهل هذه التعريفات الحديثة التي قصّرت في تعريف مفهوم التطوع، لكنني أحببت إثباتها ليرى القارئ أن مفاهيم السلف كانت أكثر بعداً وأوسع مساحة وتسامحاً منا، فهم أجادوا في شمولية التعريف ليشمل المعاملات والعلاقات الإنسانية التي هي موضوع البحث هنا، ولم يصنعوا كالمُتأخرين الذين حصروه بأنه ما زاد في العبادات المحضة عن الواجب، وذلك ما يسمى بالنوافل كسنن الصلوات، وصيام التطوع، وتكرار الحج والعمرة، ونحو ذلك.

فكان فقه السابقين أوعى وأشمل من فقه بعض المعاصرين، وفي كل خير.

(١) هو الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله.

(٢) انظر محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ط ١. تونس. مكتبة الاستقامة، ١٣٦٦هـ. ص ٢٠٤.

(٣) د. وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ط ٢. ج ٢. بيروت: دار الفكر، ١٤١٧هـ. ص ٥٨٧.

(٤) د. محمد رولس قلعة جي ود. حامد صادق قبي، معجم لغة الفقهاء، ط ١. بيروت: دار الفاضل، ١٤٠٥هـ. ص ١٣٤.

٢- مفهوم التطوع عند علماء الاجتماع:

أخذنا تعريف علم الاجتماع للتطوع، لأن العمل التطوعي عمل اجتماعي تكون العلاقة - في الغالب - فيه بين أفراد المجتمع سواء كمانحين أو متلقين لهذا العمل التطوعي، أو عاملين عليه.

فعرف قاموس علم الاجتماع التطوع بأنه: « اصطلاح يصف الطرق النظامية التي تستعمل في تقديم العون والمساعدة للمحتاجين الذين لا يستطيعون بأنفسهم التغلب على المشاكل والأزمات الحياتية التي تواجههم»^(١).

وعرفه أحد الباحثين الاجتماعيين بأنه: « ذلك الجهد الذي يفعله الإنسان لمجتمعه بدافع منه، ودون انتظار مقابل له، قاصداً بذلك تحمل بعض المسؤوليات في مجال العمل الاجتماعي المنظم، الذي يستهدف تحقيق الرفاهية للإنسانية من منطلق أن فرص مشاركة المواطنين في العمل التطوعي المنظم ميزة والتزام»^(٢).

وهذا التعريف قيّد العمل التطوعي بأنه يستهدف رفاهية الإنسان والعمل التطوعي قد لا يكون للرفاهية فقط كما يرى التعريف، بل قد يكون ضرورة كإنقاذ غريق، أو اطفاء حريق ونحو ذلك.

وعرفته جمعية الإخصائين الاجتماعيين في الولايات المتحدة الأمريكية بأنه: «جهود يبذلها المتطوعون المتخصصون، أو شبه المتخصصين، الذين يملكون خبرة أو مهارة معينة ولهم دور فعال في المشاركة لتحقيق خدمات المهنة التي تهدف إلى رفاهية الأفراد والمجتمعات بطريقة تكاملية محققة أكبر نفع ممكن لهم»^(٣).

(١) ميشيل دينكن. معجم علم الاجتماع. ترجمة إحسان محمد الحسين. بيروت: دار الطليعة. ١٩٨٦م. ص ٤٩

(٢) د. أحمد كمال أحمد. تنظيم المجتمع. ج ٣. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية. ١٩٧٢م. ص ٢٢٩.

(٣) د. عثمان بن صالح العامر. ثقافة العمل التطوعي لدى الشباب السعودي. مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية. العدد السابع.

وهذا التعريف عرف التطوع من منظور علم الاجتماع الذي تنحصر بحوثه حول الإنسان كمجموعة أفراد ولا يتطرق لغير ذلك، فلذلك جاء التصور في التعريف هنا بعدم ذكر التطوع على الحيوان والجماد، لأن طبيعة تخصص هذا العلم تفرض عليه أن يتعامل مع مجموعة الإنسان فقط، وهذا التعريف للتطوع بمنظار اجتماعي يغفل المتعلقات الأخرى بالتطوع.

٣- تعريفات أخرى:

حاول برنامج الأمم المتحدة تعريف التطوع فقال بأنه: «عمل غير ربحي لا يقدم نظير أجر معلوم، وهو عمل غير وظيفي مهني يقوم به الأفراد من أجل مساعدة وتنمية مستوى معيشة الآخرين من جيرانهم، أو المجتمعات البشرية بصفة عامة»^(١).

ويسري هذا التعريف ما سرى على التعريفات السابقة من حصر التطوع بين إنسان وآخر وإغفاله التطوع على الحيوان والجماد.

وعرفته دائرة المعارف البريطانية بأنه يعني: «الشخص الذي يقدم على المشاركة بشكل مجاني في عمل مؤسسي، أو القيام بمهمة»^(٢).

ولعل هذا التعريف - من وجهة نظري - هو أفضل من التعريفات السابقة لأنه لم يقيد التطوع بعلاقة الإنسان بالإنسان كما فعلت تلك التعريفات، ولم يقيده بمحاولة تحقيق الرفاه للمجتمع بل جعله عاماً غير مقيد لكي يشمل جميع أشكال وألوان التطوع المؤسسي، والتطوع الفردي.

والتعريفات السابقة تشمل العمل التطوعي بشكل عام ما كان فيه مؤسسياً، وما كان منه فردياً، لكن بما أن الحياة اليوم تقوم على العمل المؤسسي لذلك كانت الكتابات في

(١) انظر إبراهيم حسن. العمل التطوعي من منظور عالمي. ٢٠٠١م. بحث منشور على شبكة الانترنت عبر <http://www.saaid.net/anshatah/dole.htm>

(٢) انظر د. يوسف بن عثمان الخزيم. قوة التطوع. تطبيقاته السعودية. من دون تاريخ. ص ٣٧.

السنوات الأخيرة تتناول هذا الجانب من التطوع، لأن التطوع الفردي صار نوعاً من الماضي إلا في اجتهادات تطوعية خاصة.

المطلب الثالث: شروط العمل التطوعي

مما يتقدم يظهر لنا وجوب تحقق بعض الشروط في العمل لكي يكون تطوعياً ومن ذلك:

- ١- أن يكون العمل التطوعي دون مقابل مادي بل يكون تبرعاً من المتطوع بلا مقابل، فلو أخذ أجراً لكان موظفاً، أو مستأجراً فيقدم الخدمة مقابل منفعة مادية.
- ٢- أن المتطوع قد يتطوع بجهده فيعمل وينظم ويرتب ويأتي ويذهب، أو يكون متبرعاً بماله، فيتبرع بالمال الذي يحفر تلك البئر أو يطعم هؤلاء الأيتام ونحو ذلك.
- ٣- أن العمل التطوعي يوصف بذلك إذا كان يعود بالنفع على المجتمع وأفراده، أو أي مظهر من مظاهر الحياة وأي شكل من أشكالها، فالذي يطعم الفقير متطوع، والذي يطعم الحيوان متبرع، والذي يسقي الشجرة متبرع.
- ٤- أن يكون المتطوع مقدماً على التبرع برغبته واختياره، فالذي يفعله المجدون في الجيش تحت مسمى (التجنيد الإجباري) لا يعتبر تطوعاً لأنه لم يقدم على هذا العمل باختياره، وإن كان فيه نفع للمجتمع كتعبيد طريق أو نحو ذلك، بل هو مجبر على هذا العمل، وإن كان لا يأخذ عليه أجراً.
- ٥- لا توجد صورة واحدة للتطوع، بل كل ما يخدم المجتمع من الأفراد أو المؤسسات يعتبر تطوعاً، بأي صورة من الصور إذا تحقق فيه ما سبق من الشروط فبذلك لا نستطيع اختزال التطوع في مجموعة صور محددة.

المبحث الثاني: نبذة تاريخية عن التطوع

التطوع عمل اجتماعي ظهر مع بداية الإنسانية، مع بساطة ذلك العمل الجماعي التعاوني بمقاييس عصرنا، لكنه يبقى عملاً تطوعياً خدم به الإنسان أخاه الإنسان لتحقيق غاية أو هدف، فصار موجوداً في كل مجتمع من المجتمعات الإنسانية على صور مختلفة، فمساعدة الشيخ الكبير، أو الطفل الصغير، أو الإنسان الفقير كان موجوداً منذ القدم في تاريخ الإنسانية، فكان موجوداً في الحضارات السابقة سواء عند الإغريق، أو الصينيين، أو الرومان، أو قدماء المصريين على صور مختلفة، كتقديم المساعدات للمحتاجين، أو توفير الطعام والمأوى للغرباء ونحو ذلك.

أما في الأديان السماوية السابقة التي سبقت الإسلام فنجد أن تلك الديانات حثت أتباعها على فعل الخير، وتقديم يد العون والمساعدة للمحتاج.

ففي اليهودية نجد أن واحدة من الوصايا العشر التي نزلت على موسى عليه السلام كانت تقول: «افتح يدك لأخيك المسكين والفقير في أرضك»، ووصية أخرى تقول: «طوبى لمن ينظر للمساكين في يوم الشر ينجيهِ الرب».

أما في النصرانية فقد جاءت نصوص في الإنجيل تحث على خدمة الناس وبذل الجهد والوقت في ذلك، فمن ذلك ما جاء في الإنجيل: «من سألك أعطه، ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده» وفي نص آخر «كل أنواع الهبات مرغوب فيها».^(١)

(١) انظر إبراهيم بيومي مرعي وحموس خليفة. تجلعات الرعاية الاجتماعية ومداخلها المهنية. الرياض. ١٤٠٣. ص ٣٤-٣٥.

المبحث الثالث: مفهوم العمل التطوعي

أصبح التطوع اليوم عبارة عن مؤسسات تشمل جمعيات، ومنظمات، ووجهات تطوعية خاصة.

لذلك تعددت تسميات هذا النوع من العمل التطوعي، فيسمى (القطاع الثالث) تمييزاً له عن القطاع الأول وهو القطاع الحكومي، وعن القطاع الثاني وهو القطاع الخاص الربحي، ويسمى كذلك (المنظمات غير الحكومية)، و (القطاع المستقل)، و(القطاع الخيري)، و (القطاع الخيري المانح)، و (القطاع التطوعي)، و(المؤسسات الوقفية)، و (مؤسسات المجتمع المدني)، و(المؤسسات الخيرية الأهلية)، و (المؤسسات غير الربحية) ^(١).

فتعدد الأسماء دليل على شرف المسمى كما يقول العرب، حيث يعتبر العمل التطوعي اليوم جزءاً من واقع الإدارة الحديثة للدولة. وتسميته بالقطاع الثالث تسمية اعتمدها منظمة الأمم المتحدة في تسمية كل المؤسسات غير الحكومية وغير الربحية. ^(٢) لذلك أصبح كل حديث اليوم عن العمل التطوعي، فإنه يعني العمل التطوعي المؤسسي.

المطلب الأول: تعريف العمل التطوعي المؤسسي

عرفه بعضهم بأنه «منظمات تطوعية غير ربحية تستهدف النفع العام، أو الصالح العام، وتتركز مجالات نشاطها في احتواء المواطن واجتذابه للإسهام في عملية التنمية من خلال توفير التعليم والتدريب والتأهيل والتثقيف وإيجاد فرصة عمل له تكفل له الاعتماد على النفس» ^(٣).

(١) انظر د. محمد السلومي. القطاع الثالث والفرص السائحة رؤية مستقبلية. ط١. بلون ناشر. ٤٣١ هـ. ص ٦٤.

(٢) انظر د. محمد السلومي. مرجع سابق. ص ٦٤.

(٣) د. يوسف الخزيم. قوة التطوع. ص ١٧.

وعرفه أحدهم بأنه « مجموعة من المنظمات التي تتبع من مبادرات المواطنين وتحتل موقعاً ثالثاً بين مشروعات القطاع الخاص والمؤسسات الحكومية، حيث لا تستهدف هذه المنظمات تحقيق الربح بل تسعى في المقام الأول إلى تحقيق النفع العام، ويقتصر دور الحكومات تجاهها على ما تصدره من تشريعات تنظم عمل هذه المنظمات إضافة إلى متابعة أعمالها كمراقب عليها»^(١).

وعرف آخر العمل الخيري المؤسسي الإسلامي بأنه «هيئات منظمة رسمية أو غير رسمية تقوم بالدعوة إلى الله تعالى، وإحياء التكافل الاجتماعي بين المسلمين وفق الوسائل والأساليب المشروعة، نيابة عن المحسنين الذين يدعمونها مادياً ومعنوياً، طمعاً في رضا الله عز وجل، ثم رغبة في دلالة الناس إلى الدين الحق وتمسكهم به»^(٢).

وعرفه آخر بأنه «كل تجمع منظم يهدف إلى تحسين الأداء وفعالية العمل، لبلوغ أهداف محددة، ويقوم بتوزيع العمل على لجان كبرى وفرق عمل، وإدارات متخصصة علمية، ودعوية، واجتماعية، بحيث تكون لها المرجعية وحرية اتخاذ القرار في دائرة اختصاصها»^(٣).

المطلب الثاني: مميزات العمل التطوعي المؤسسي

العمل المؤسسي هو عمل تعاوني بين أفراد من الناس، تظلله الروح الجماعية، ومن مميزات هذا العمل:

١- أن العمل المؤسسي يؤدي إلى استقرار العمل ودوامه، بخلاف العمل الفردي الذي يعثره التغير لارتباطه بفرد واحد، فيتغير بمرضه، أو وفاته، أو تغير أفكاره.

٢- تنوع الموارد المالية في العمل المؤسسي، حيث تتعدد مصادر التمويل

(١) انظر د. محمد السلومي . . مرجع سابق ص ٦٣.

(٢) د. عبدالله محمد المطوع. العمل الخيري المؤسسي. ص ١٢٠.

(٣) عبدالحكيم بن محمد بلال. لعلل المؤسسي معناه ومقومات نجاحه. مجلة البيان، العدد ١٤٣، رجب. ١٤٢٠هـ. ص ٤٣.

من جهات وأشخاص متبرعين.

٣- العمل المؤسسي يقوم بتعزيز جانب الثقة لدى المتبرعين حيث يضمنون أو يتوقعون - على الأقل - أن تكون تبرعاتهم لدى جهات أكثر ثقة وأمناً.

٤- صدور قرارات العمل المؤسسي من مجالس إدارية تضم عناصر ذات تجربة وخبرة أفضل من صدور القرارات الفردية في العمل الفردي.

٥- أن مجموع العاملين في العمل المؤسسي يلتزمون بقيم المؤسسة، ويسعون لتحقيق أهدافها.

٦- أن العمل المؤسسي يحظى بنظرة متميزة لدى الجهات المانحة والجهات المستقبلية للمنحة، مما يجعله يكتسب صفة الشرعية لمشاريعه التطوعية، ويجعل الموافقة على تلك المشاريع أكثر قبولاً ومرونة.

٧- بناء خبرات إدارية ومالية تراكمية للمؤسسة على المدى الزمني وهذا يجعلها أكثر إنتاجية وأكثر موارد^(١).

مجالات العمل التطوعي

العمل التطوعي في الإسلام مبادئه رحيمة، ومجالاته متعددة، يكاد يشمل جميع مناحي الحياة، لأن التطوع تفاعل مع إيقاع الحياة، وخدمة لبني البشر، لذا تعددت مجالاته، وبقيت غير محصورة، وهي ما بين مجال فردي ومؤسسي، وسأذكر هنا الأبرز، والأظهر من هذه المجالات:

(١) نظر محمد ناجي بن عطية، للمنظمات الخيرية: الواقع وآفاق التطوير. بحث منشور على موقع الإسلام اليوم. ١٠ محرم ١٤٢٨ هـ. ، وهو ملخص لدراسة ميدانية غير منشورة قام بها الباحث على المنظمات الخيرية في أمانة العاصمة صنعاء. اليمن. ٢٠٠٦ م.

المبحث الأول: التطوع في مجال التعليم والتدريب

اعتنى الإسلام بالعلم وأهله، وشجع كل إنسان على أن يقدم كل ما يستطيع في سبيل نشر العلم، وسمح بكل طريق إليه، وجعلها طريقاً إلى الجنة، ويندرج تحت هذا العنصر مجالات متعددة اقتضتها ضرورة الحياة، وتغير صورها، وأنماط معيشتها، ومن ذلك:

١- التطوع في تعليم كبار السن وكبيراته، وذلك من خلال فتح فصول دراسية لإزالة الأمية عن هؤلاء من الرجال والنساء.

فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يعلم نساء المسلمين ويخصصهن بيوم في الأسبوع يعلمهن فيه وهذا من حرصه صلى الله عليه وسلم على تعليم أمته نساء ورجالاً، كما روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ((قالت النساء للنبي صلى الله عليه وسلم غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك فوعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن فكان فيما قال لهن: ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجاباً من النار، فقالت امرأة: واثنين؟ فقال: واثنين))^(١).

٢- إقامة دورات تطوعية في الحاسب الآلي والأعمال المهنية وغيرها، للرجال والنساء، وذلك لتعليم أبناء المسلمين التعامل مع هذه التقنية الحديثة والحصول على وظيفة من خلال هذه الدورات العلمية.

فلقد أرشد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى تعليم الرجل الصنعة التي تعينه على الاعتناء عما في أيدي الناس حيث روى أبو ذر رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله وجهاد في سبيله، قلت فأبي الرقاب أفضل؟ قال: أعلاها ثمناً، وأنفسها عند أهلها، قلت: فإن لم أفعل؟ قال: تعين

(١) رواه البخاري. صحيح البخاري. ط ٢. الرياض: مكتبة دار السلام. ١٤١٩ هـ.

كتاب العلم. باب هل يجعل للنساء يوماً على حدة في العلم. حديث ١٠١.

ضائعاً أو تصنع لأخرق، قلت: فإن لم أفعل؟ قال: تدع الناس من الشر فإنها صدقة تصدق بها عن نفسك^(١).

قال ابن حجر: «وفي الحديث إشارة إلى أن إعانة الصانع أفضل من إعانة غير الصانع، لأن غير الصانع مظنة الإعانة فكل أحد يعينه غالباً»^(٢).

وفي هذا دليل على إعانة صاحب الصنعة، أو إعداده لها، وهذا ليس فقط إعانة مالية، بل قد يكون إعانة بإشراكه في دورة في مجال تخصصه، تزيده فهماً لتلك الصنعة، أو تدريبه على أجهزة ومعدات جديدة تتطلبها ففترات التطور المتسارعة، وهكذا.

٣- إقامة دورات تطوعية في تعليم اللغات، وذلك ليسهل على من اجتازها من الرجال والنساء الحصول على وظيفة في الترجمة، فكل ما هو جديد يجب معرفته والاهتمام به، لكي تبقى الأمة قوية، ومنافسة مع غيرها من أمم الأرض.

وكذلك يجب تعلم لغة غير المسلمين لكي يستطيع الإنسان اليوم التعامل مع التقنية التي يصنعونها بكل ثقة، ويشهد لذلك ما روي عن زيد بن ثابت^(٣) رضي الله عنه: ((أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يتعلم كتاب اليهود، حتى كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم وأقرأته كتبهم إذا كتبوا إليه))^(٤).

قال ابن حجر: «وقال الشافعي وهي الرواية الراجحة عند الحنابلة» إذا لم يعرف الحاكم لسان الخصم، لم يقبل فيه إلا عدلين"، لأنه نقل ما خفي على الحاكم إليه فيما يتعلق

(١) رواه البخاري. كتاب العتق. باب أي الرقاب أفضل. حديث ٢٥١٨، ورواه مسلم. كتاب الإيمان. باب كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال. حديث ٨٤.

(٢) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري بشرح صحيح البخاري. ط١. القاهرة: دار الريان للتراث. ١٤٠هـ. ج٥. ص١٧٨.

(٣) زيد بن ثابت الخزرجي الأنصاري، كان من كتاب الوحي، واختلفوا في وفاته قيل ٥١، وقيل ٥٥، انظر. الذهبي. سير أعلام النبلاء.

تحقيق د. بشار عواد وآخرون. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة. ١٤٠٥هـ. ج٢. ص٤٢٧-٤٤١.

(٤) رواه البخاري. كتاب الأحكام. باب ترجمة الحكام، وهل يجوز ترجمان واحد. حديث ٧١٩٥.

بالحكومة، فيشترط فيه العدل كالشهادة، ولأنه أخير الحاكم بما لم يفهمه فكان كنقل الإقرار إليه من غير محله»^(١).

٤- إقامة دورات تطوعية لتعليم المرأة التفصيل والخياطة، وذلك لخدمة بنات جنسها فيما يخص المرأة، والبحث من خلالها عن مصدر رزق تعيل به نفسها وأسرتها. وقد كانت نساء الصحابة رضوان الله عليهم يحطن، ويتعلمن الخياطة فعن سهل بن سعد قال: ((جاءت امرأة بردة، قال سهل: هل تدرين ما البردة؟ قال: نعم، هي الشملة منسوج في حاشيتها، قالت: يا رسول الله إني نسجت هذه بيدي أكسوكها، فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم محتاجاً إليها...))^(٢)

٥- إقامة دورات تطوعية في إعداد مربيات الأطفال وتأهيلهن التأهيل العلمي والاجتماعي الذي يكفل لهن العمل في رياض الأطفال، أو افتتاح مقر تربية صغير في منزلها لتربية الأطفال أثناء غياب أمهاتهم في عملهن.

فلقد تزوج جابر بن عبد الله رضي الله عنه بعد وفاة أبيه امرأة ثيباً، وذلك لأن والده قد ترك له بنات، فأراد جابر رضي الله عنه أن يتزوج امرأة تكون مربية لأخواته الصغيرات، كما جاء في الحديث عن جابر رضي الله عنه قال: ((هلك أبي وترك سبع بنات - أو تسع بنات - فتزوجت امرأة ثيباً: فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: تزوجت يا جابر؟ فقلت: نعم، فقال: أبكراً أم ثيباً، قلت: بل ثيباً، قال: فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك، وتضحكها وتضحكك؟ قال: فقلت له: إن عبد الله هلك وترك بنات، وإني كرهت أن أجيئن بمثلهن، فتزوجت امرأة تقوم عليهن وتصلحن، فقال: بارك الله لك، أو خيراً))^(٣).

(١) ابن حجر. فتح الباري. ج ١٣. ص ١٩٨.

(٢) رواه البخاري. كتاب اللباس. باب البرود والحير والشملة. حديث ٥٨١٠.

(٣) رواه البخاري. كتاب النفقات. باب عون المرأة زوجها في ولده. حديث ٥٣٦٧.

قال ابن حجر: «قال ابن بطال: وعون المرأة زوجها في ولده ليس بواجب عليها، وإنما هو من جميل العشرة ومن شيمه صالحات النساء»^(١).

وهذا دليل على اهتمام الصحابة في الحاجة إلى من تربي الأطفال وتهتم بهم، فهذا جابر رضي الله عنه تزوج امرأة ثيباً ولم يتزوج بكراً، لأنه يبحث عن المرأة الواعية التي تستطيع إعانته على تربية أخواته.

٦- إقامة دورات تطوعية للعناية بالموهوبين واكتشاف مواهبهم، وتوجيههم للاستفادة منها.

فهذا رسول الله يتوسم الموهبة والنبوغ في ابن عباس رضي الله عنهما فيدعو له، بقول ابن عباس رضي الله عنه: ((أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل الخلاء فوضعت له وضوءه، قال: من وضع هذا؟ فأخبر، فقال: اللهم فقِّهه في الدين))^(٢).

قال ابن حجر: « وقال ابن المنير: مناسبة الدعاء لابن عباس بالتفقه على وضعه الماء من جهة أنه تردد بين ثلاثة أمور: إما أن يدخل إليه بالماء إلى الخلاء، أو يضعه على الباب، ليتناوله من قرب، أو لا يفعل شيئاً، فرأى الثاني أوفق، لأن في الأول تعرضاً للاطلاع، والثالث يستدعي مشقة في طلب الماء، والثاني أسهلها، ففعله يدل على ذكائه، فناسب أن يدعي له بالتفقه في الدين ليحصل به النفع، وكذا كان »^(١).

فابن عباس رضي الله عنهما رغم صغر سنه ، حيث توفي الرسول صلى الله عليه وسلم ولابن عباس ثلاث عشرة سنة^(٢)، إلا أن فعله هذ مع رسول الله دليل على شدة ذكائه، وسعة فهمه، وهو في تلك السن الصغيرة، مما يدل على تفرس الرسول صلى الله عليه وسلم فيه الموهبة والنبوغ، فلذلك دعا له بهذه الدعوات المباركة، وكان كما دعا له صلوات ربي وسلامه عليه.

٧- إقامة دورات تطوعية في أعمال الطهي تتعلم من خلالها المرأة فنون الطبخ وذلك

(١) ابن حجر. فتح الباري. ج ٩. ص ٤٢٣.

(٢) رواه البخاري. كتاب الوضوء. باب وضع الماء عند الخلاء. حديث ١٤٣.

لإعداد الفتاة المسلمة لبيت الزوجية.^(٣)

فكانت المرأة المسلمة تسعى جاهدة لتعلم فنون الطبخ، وإذا فشلت كن يساعدها نسوة الحي، فيطبخن لها تبرعاً، وكن ذوات خبرة ومعرفة بفنون الطبخ، وفائدة هذه الدورات هو تأهيل المرأة المسلمة لتصبح متقنة لعمل المطبخ، وصاحبة إبداع فيه، ومن ذلك ما جاء في الحديث من تطوع نساء الأنصار المتقنات للطبخ في خدمة أسماء بنت أبي بكر حيث قالت: ((تزوجني الزبير وماله في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير ناضح وغير فرسه، فكنت أعلف فرسه، وأسقي الماء وأخرز غرّته، وأعجن، ولم أكن أحسن أخبز، فكان يخبز جارات لي من الأنصار، وكن نسوة صدق...))^(٤).

المبحث الثاني: التطوع في مجال رعاية الطفل

أولى الإسلام عناية خاصة بالأطفال، وحث على الاعتناء بهم وأوجب على والديهم حسن تربيتهم وتعليمهم.

ومما يؤكد اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بالأطفال ما رواه أسامة بن زيد رضي الله عنهما: ((كان رسول الله يأخذني فيقعدي على فخذه ويقعد الحسن بن علي على فخذه الآخر، ثم يضمهما، ثم يقول: اللهم ارحمهما فإني أرحمهما))^(٥).

واعتنى بالأطفال الذين فقدوا آباءهم من الأيتام، قال تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ أَلطَّعَامَ عَلَيَّ حَبِيَّةٍ وَسَكِينًا وَيَمِيمًا وَأَسِيرًا﴾^(١) وقوله صلى الله عليه وسلم: ((إن هذا المال خضرة

(١) ابن حجر. فتح الباري. ج ١. ص ٢٩٥.

(٢) الذهبي. سير أعلام النبلاء. ج ٣. ص ٣٣٦.

(٣) انظر. عبدالله النعيم. العمل الاجتماعي التطوعي. ص ١٥. وانظر. د. محمد مظاهري. واقع العمل التطوعي في المملكة العربية السعودية. ص ٢٠٠. وانظر. رندا زينو. العمل التطوعي في السنة النبوية. ص ٨٤. وانظر. د. عبدالكريم بكار. ثقافة العمل التطوعي. ص ٢١.

(٤) رواه البخاري. كتاب النكاح. باب الغيرة. حديث ٥٢٢٤، ورواه مسلم. كتاب السلام. باب جواز إرداف المرأة الأجنبية إذا أعيت في الطريق. حديث ٥٢٢٤.

(٥) رواه البخاري. كتاب الأدب. باب وضع الصبي على الفخذ. حديث ٦٠٠٣.

حلوة، فنعم صاحب المسلم ما أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل))^(٢)، ومن صور هذا الاهتمام في هذا الجانب ما يلي:

١- التطوع في افتتاح رياض أطفال تهتم بالطفل المسلم وتعليمه، لينشأ طفلاً صالحاً في مجتمعه، ويتحلّى بأخلاق الإسلام.

فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يعلم أطفال الصحابة فعن عمر بن أبي سلمة أنه قال: ((كنت غلاماً في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت يدي تطيش في الصفحة، فقال لي رسول الله: يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك، فما زالت تلك طعمتي بعد))^(٣).

أي أنه كان صبيّاً لم يبلغ، وكان تحت نظر الرسول صلى الله عليه وسلم وتربيته، حيث أن أمه هي أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها.

فالرسول صلى الله عليه وسلم علم هذا الغلام آداب الأكل والشرب، وفي الحديث «منقبة لعمر بن أبي سلمة لامثاله الأمر ومواظبته على مقتضاه»^(٤)

٢- التطوع في افتتاح دور حضانة اجتماعية إيوائية تهتم بالأطفال الأيتام وتربيتهم تربية إسلامية، وتعليمهم والاهتمام بهم، حتى يكونوا أعضاء صالحين في المجتمع المسلم.

فالرسول صلى الله عليه وسلم اهتم بالأيتام، وحث على حسن تربيتهم، وتعليمهم، والاهتمام بهم.

قال صلى الله عليه وسلم: ((أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً))^(١).

(١) سورة الإنسان: الآية ٨.

(٢) رواه البخاري. كتاب الزكاة. باب الصدقة على اليتامى. حديث ١٤٦٥.

(٣) رواه البخاري. كتاب الأطعمة. باب التسمية على الطعام والأكل باليمين. حديث ٥٣٧٦.

(٤) ابن حجر. فتح الباري. ج ٩. ص ٤٣٤.

فالذي يصنع معروفاً بالأيتام فيفتح لهم داراً إيوائية تحتضنهم، وتقوم على العناية بهم، له أعظم الأجر من الله تعالى .

وذلك من أعظم القرب التي يتطوع بها إلى الله تعالى .

٣- التطوع في إنشاء مكاتب للأطفال تقوم بتوفير كتب للأطفال والعاجم لكي يتعود

الطفل المسلم على القراءة، في جو نفسي يهيئ للطفل له الاهتمام بالثقافة، والاطلاع.

فلقد تخرج ابن عباس رضي الله عنهما من مكتبة النبوة، حيث توفي الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشر سنين تقريباً، أو ثلاثة عشر سنة، ومع ذلك تعلم في مكتبة محمد عليه الصلاة والسلام حتى أنه قال عن نفسه «توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم»^(٢) .

أي أن الرسول صلى الله عليه وسلم توفي وهو قد حفظ سور القرآن من الحجرات إلى آخر المصحف^(٣) .

فالإسلام يحث على كل ما يزيد الطفل علماً، ويوسع آفاقه ومداركه.

٤- إقامة ندوات تطوعية تتحدث عن الاهتمام بالطفل، وكيفية التعامل معه

وذلك لأهالي الأطفال، وأمهاهم خاصة.

فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يتعامل مع الأطفال بلطف ولين، ويداعب الأطفال أمام أهاليهم كي يعلمهم أنه وهو النبي الأعظم، وقائد الأمة المسلمة، يتواضع مع الأطفال ويداعبهم ويلاطفهم، كما قال أنس بن مالك رضي الله عنه: ((إن كان النبي صلى الله عليه وسلم ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير: يا أبا عمير ما فعل النغير))^(٤) .

(١) رواه البخاري. كتاب الطلاق. باب اللعان وقول الله تعالى (والذين يرمون أزواجهم.. إلى قوله (إن كان من الصادقين)). حديث ٥٣٠٤.

(٢) رواه البخاري. كتاب فضائل القرآن. باب تعليم الصبيان القرآن ٥٠٣٥.

(٣) انظر ابن حجر. فتح الباري. ج ٨. ص ٧٠٢.

(٤) رواه البخاري. كتاب الأدب. باب الانبساط إلى الناس. حديث ٦١٢٩، ورواه مسلم. كتاب الأدب. باب استحباب تخنيك المولود

عند ولادته وحمله. حديث ٢١١٤.

قال ابن حجر عن النخعي: «هو طير صغير، واحده نخعة، وجمعه نخعان»^(١)
 وذكر ابن حجر من فوائد الحديث: «وفيه أن الكبير إذا زار قوماً واسى بينهم فإنه
 صافح أنس، ومزاح أبا عمير، ونام على فراش أم سليم، وصلّى بهم في بيتهم، حتى نالوا
 كلهم من بركته»^(٢).

٥- إقامة نوادي تطوعية خاصة بالأطفال يمارس فيها الطفل المسلم اللعب
 وممارسة الرياضة، تحت عيون مسلمة ترعاه وتهتم به.^(٣)

فلقد روت عائشة رضي الله عنها قالت: ((كنت أَلعب بالبنات عند النبي صلى الله
 عليه وسلم، وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 إذا دخل فيقيمعن منه، فيسر بهن إليّ فيلعبن معي))

قال ابن حجر: «واستدل بهذا الحديث على جواز اتخاذ صور البنات واللعب من أجل
 لعب البنات بهن، وخص ذلك من عموم النهي عن اتخاذ الصور، وبه جزم عياض
 ونقله عن الجمهور، وأنهم أجازوا بيع اللعب للبنات لتدريبهن من صغرهن على أمور
 بيوتهن وأولادهن»^(٤)

وذكر أيضاً من فوائد الحديث وفيه «جواز ترك الأبوين ولدهما الصغير يلعب بما أبيع
 اللعب به، وجواز إنفاق المال فيما يتلهن به الصغير من المباحات»^(٥).

٦- التطوع بزيارة المرضى من الأطفال، لرفع روحهم المعنوية، وإحساسهم
 بقيمتهم الإنسانية لدى أفراد المجتمع، والدعاء لهم، كما كان الرسول صلى الله عليه
 وسلم يدعو للأطفال من أبناء المسلمين حين يأتي به أهله إليه ((كان النبي صلى
 الله عليه وسلم يؤتى بالصبيان، فيدعو لهم، فأتي بصبي فبال على ثوبه، فدعا

(١) ابن حجر. فتح الباري. ج ١. ص ٦٠.

(٢) ابن حجر. فتح الباري. ج ١٠. ص ٦٠١.

(٣) انظر. د. محمد عبد الفتاح شاهين وزميله. العمل التطوعي من منظور إسلامي. ص ١٥.

(٤) ابن حجر. فتح الباري. ج ١٠. ص ٥٤٢.

(٥) ابن حجر. فتح الباري. ج ١٠. ص ٦٠١.

بماء فأتبعه ولم يغسله»^(١)، وحديث أم قيس بنت محصن أنها ((أتت بابتها لها صغير لم يأكل الطعام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجره، فبال على ثوبه ، فدعا بماء فنضحه، ولم يغسله))^(٢).

قال ابن حجر: « وفي هذا الحديث من الفوائد: الندب إلى حسن المعاشرة والتواضع، والرفق بالصغار، وتحنيك المولود»^(٣).

بل حتى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يترك زيارة الصبي غير المسلم، فلقد زار غلاماً يهودياً كان يخدمه كما جاء في الحديث: ((كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: (أسلم) فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم صلى الله عليه وسلم، فأسلم، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه الله من النار))^(٤).

قال ابن حجر في فوائد هذا الحديث: «وفي الحديث جواز استخدام المشرك، وعودته إذا مرض، وفيه حسن العهد، واستخدام الصغير، وعرض الإسلام على الصبي، ولولا صحته منه ما عرضه عليه»^(٥).

(١) رواه البخاري. كتاب الدعوات. باب الدعاء للصبيان بالبركة ومسح رؤوسهم. حديث ٦٣٥٥.

(٢) رواه البخاري. كتاب الوضوء. باب بول الصبيان. حديث ٢٢٣.

(٣) ابن حجر. فتح الباري. ج ١. ص ٣٩١.

(٤) رواه البخاري. كتاب الجنائز. باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلح عليه؟ وهل يعرض على الصبي الإسلام؟ حديث ١٣٥٦.

(٥) ابن حجر. فتح الباري. ج ٣. ص ٢٦٢.

المبحث الثالث: التطوع في المجال الصحي

إن القطاع الصحي واجهة حضارية لأي مجتمع من المجتمعات، ولقد حث الإسلام على العناية بحاجة الناس لما يداوي جراحهم، ويعالج أمراضهم، وكان هذا باباً من أبواب العمل التطوعي وذلك من خلال:

١- إنشاء مستوصفات ومستشفيات طبية خيرية لمعالجة فقراء المسلمين وعدم فرض رسوم مرهقة عليهم طلباً للأجر من الله.

ولقد أقيم أول مستشفى في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث ضربت خيمة في مسجده عليه الصلاة والسلام لمعالجة ومداواة سعد بن معاذ رضي الله عنه عندما أصيب يوم الخندق، حيث أقام فيها سعد وكان يعالج من إصابة لحقته في تلك المعركة، كما روت عائشة رضي الله عنها قالت: ((أصيب سعد يوم الخندق في الأكحل، فضرب النبي صلى الله عليه وسلم خيمة في المسجد ليعوده من قريب، فلم يرعهم - وفي المسجد خيمة من بني غفار - إلا الدم يسيل إليهم، فقالوا: يا أهل الخيمة! ما هذا الذي يأتينا من قبلكم؟ فإذا سعد يغذو جرحه دماً، فمات منها))^(١).

بل إن ابن حجر رحمه الله يرى أن الخيمة لرؤية الأسمية تداوي فيها الناس حيث يقول: « لكن كلام ابن اسحاق يدل على أنه كان مقيماً في مسجد المدينة، حتى بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكم في بني قريظة فإنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل سعداً في خيمة رفيدة عند مسجده، وكانت امرأة تداوي الجرحى، فقال: اجعلوه في خيمتها لأعوده من قريب، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة وحاصرهم، وسأله الأنصار أن ينزلوا على حكم سعد، أرسل إليه فحملوه على حمار ووطؤوا له وكان جسيماً، فدل قوله: فلما خرج إلى بني قريظة، أن سعداً كان

(١) رواه البخاري. كتاب الصلاة. باب الخيمة في المسجد للمرضى وغيرهم. حديث ٤٦٣، ورواه مسلم. كتاب الجهاد والسير. باب جواز

قتال من نقض العهد، وجواز إنزال أهل الحصن على حكم حاكم عدل. حديث ١٧٦٩.

في مسجد المدينة»^(١) وهذا دليل على أن المستشفى العلاجي كان معروفاً في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا زالت الجيوش وقت الحروب تستخدم (الخيام) كمستشفيات ميدانية في ميادين المعركة وقريباً منها.

٢- التبرع بإقامة سكن صحي للمرضى الذين يراجعون المستشفيات الكبيرة في المدن الرئيسية، وذلك كي لا ترهقهم إيجارات المساكن الباهظة مما يساهم في تخفيف المعاناة عنهم، ويكون هذا داخلياً في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا مات الإنسان أنقطع عمله إلا من ثلاثة، إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)^(٢) فالصدقة الجارية هي في مثل هذا العمل لأنه من أعظم القرب إلى الله لما فيه من تخفيف المعاناة عن المرضى الذين يراجعون المستشفيات من مناطق بعيدة، ولا تسمح ظروفهم المالية بتحمل تكاليف الإقامة في المدن لمتابعة حالتهم الصحية.

٣- إقامة مراكز علاج طبيعي وتأهيل طبي تطوعية، لخدمة المرضى الذين يحتاجون إلى علاج طبيعي طويل الأجل كمرضى فقرات الظهر، أو مرضى الركب والمفاصل، والساقين، والذين يقعون ضحايا الحوادث المرورية وكذلك ضحايا الجلطات الدموية. فالرسول صلى الله عليه وسلم أرشدنا على سبيل المثال لكيفية علاج الحمى (ارتفاع درجة الحرارة) طبيعياً، وذلك بوصفه صلى الله عليه وسلم الماء البارد لإطفاء نار الحمى التي تشتد على جسد المريض، فكان ذلك علاجاً طبيعياً لحفض درجة الحرارة، حيث قال: ((الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء))^(٣).

(١) ابن حجر. فتح الباري. ج٧. ص٤٧٦.

(٢) رواه مسلم. كتاب الوصية. باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته. حديث ١٦٣١.

(٣) رواه البخاري. كتاب بدء الخلق. باب صفة النار أنها مخلوقة. حديث ٣٢٦٤، وكتاب الطب. باب الحمى من فيح جهنم. حديث

قال ابن حجر: « والمعنى أن حر الحمى شبيهة بحر جهنم تنبهاً للنفوس على شدة حر النار، وأن هذه الحرارة الشديدة شبيهة بفيحها، وهو ما يصيب من قرب منها من حرها»^(١).

وكذلك حين مرض الرسول صلى الله عليه وسلم مرض موته طلب أن يصبوا على جسمه ماء من سبع قرب، فقد روت عائشة رضي الله عنها ((أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بعدما دخل بيته، واشتد وجعه: هريقوا عليّ من سبع قرب لم تُحل أوكيتهن، لعلني أعهد إلى الناس))^(٢)

قال ابن حجر: «والظاهر أن ذلك للتداوي، لقوله في رواية أخرى في الصحيح (لعلني أستريح فأعهد، أي أوصي)»^(٣)

واستخدام الماء يعتبر علاجاً طبيعياً لأن مصدره من الطبيعة، دون استخدام لوسائط أخرى، ولا زال الماء حتى الآن يستخدم كعلاج طبيعي في المشافي على مستوى العالم.

٤- التبrec بتوفير سيارات إسعاف لنقل المصابين للمستشفيات، ومراكز العلاج وذلك تسهياً عليهم، ولكي يتم نقلهم على أسس طبية لا تسبب لهم الضرر. فالمرضى بحاجة إلى من يقوم بنقلهم وإيصالهم للمستشفيات، فعن الربيع بنت معوذ قالت: ((كنا نغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم فنسقي القوم، ونخدمهم، ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة))^(٤).

فكانت هؤلاء الصحابيات بمثابة سيارات إسعاف ينقلن الجرحى إلى المدينة.

قال ابن حجر: «وفيه جواز معالجة المرأة الأجنبية الرجل الأجنبي للضرورة»^(٥).

٥- إنشاء لجان خاصة بزيارة المرضى لرفع روحهم المعنوية، ولكي يشعروا بوجود

(١) ابن حجر. فتح الباري. ج ١٠. ص ١٨٥.

(٢) رواه البخاري. كتاب الوضوء. باب الغسل والوضوء في المخضب، والقذح، والخشب، والحجارة حديث ١٩٨.

(٣) ابن حجر. فتح الباري. ج ١. ص ٣٦٣.

(٤) رواه البخاري. كتاب الجهاد والسير. باب رد النساء الجرحى والقتلى. حديث ٢٨٨٣.

(٥) ابن حجر. فتح الباري. ج ٦. ص ٩٤.

أناس يشاركونهم مآسيهم وهمومهم، مما ينعكس على نفسية المرضى ويسارع في شفائهم وهي ما يسمى الآن بـ "لجان أصدقاء المرضى".

كما سأل الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابة رضوان الله عليهم فقال: ((هل عاد أحد منكم اليوم مريضاً؟)).

فدل ذلك على أهمية زيارة المريض حتى لو لم يكن قريباً، لما في ذلك من الأجر العظيم على تلك الزيارة، كما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من أصبح منكم اليوم صائماً؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟ قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة))^(١).

قال النووي: «قال القاضي: دخل الجنة بلا محاسبة ولا مجازاة على قبائح الأعمال، وإلا فمجرد الإيمان يقتضي دخول الجنة بفضل الله تعالى»^(٢).

٦- القيام بحملات للتبرع بالدم، لتوفيره للمرضى المحتاجين، وليبقى رصيذاً لبنوك الدم لاستعماله في أوقات الطوارئ التي يمر بها المستشفى، خصوصاً في أوقات الحوادث المرورية.

ولقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بإحياء الأنفس البشرية فقال تعالى: ﴿مِنَ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ لِمَ تَلْعَبُونَ ﴿٣٠﴾﴾^(٣)، والتبرع بالدم إحياء لنفس بشرية، خصوصاً إذا كان المتبرع له بالدم في مرحلة الخطر، فيكون التبرع واجباً في هذه الحالة، لأن القاعدة الأصولية تقول (إن ما لا يتم الواجب

(١) رواه مسلم. كتاب فضائل الصحابة. باب فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه. حديث ٢٣٨٧.

(٢) النووي. صحيح مسلم بشرح النووي. دار الفكر. بيروت. ١٤٠١هـ. ج ١٥٦. ص ١٥٦.

(٣) سورة المائدة . الآية ٣٢.

إلا به فهو واجب) ، وهنا لا تكون النفس البشرية التي أوجب الله حياتها باقية إلا بالتبرع لها بالدم.

٧- القيام بطباعة نشرات طبية توعوية، لتثقيف الناس ثقافة صحية، خصوصاً حول الأمراض المعدية، ووقت انتشار الأوبئة المكتشفة حديثاً، التي لا يكون لدى الناس ثقافة معرفية صحية عنها، مثل فيروس (كوبولا)، أو فيروس (كورونا)، أو فيروس (الايديز)، أو فيروس (انفلونزا الطيور)، ونحو ذلك من أمراض استجدت على الناس في الوقت الحاضر، ولم تكن معروفة سابقاً.

ويُنصح الناس بعدم الاختلاط بالمصابين كثيراً، ويتم عزلهم في حال انتشار الفيروس في أجسادهم، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: ((لا يوردن ممرض على مصح))^(١) ، وكذلك ما روي أنه ((كان في وفد تقيف رجل مجذوم، فأرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم: إنا قد بايعناك فارجع))^(٢).

وما روي: ((أن عمر خرج إلى الشام، فلما جاء سرغ، بلغه أن الوباء قد وقع بالشام، فأخبره عبدالرحمن بن عوف: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا سمعتم به في أرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فراراً منه) فرجع عمر بن الخطاب من سرغ))^(٣)، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((فر من المجذوم فرارك من الأسد))^(٤).

(١) رواه البخاري. كتاب الطب. باب لا هامة. حديث ٥٧٧١، ورواه مسلم. كتاب الطب. باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر،

ولا نوء، ولا غول، ولا ورد ممرض على مصح. حديث ٢٢٢١.

(٢) رواه مسلم. كتاب الطب. باب اجتناب المجذوم ونحوه. حديث ٢٢٣١.

(٣) رواه مسلم. كتاب الطب. باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها. حديث ٢٢١٩، ورواه البخاري. كتاب الطب. باب ما يذكر في

الطاعون. حديث ٥٧٣٠.

(٤) رواه البخاري. كتاب الطب. باب الجذام. حديث ٥٧٠٧.

قال ابن حجر عن (سرع): «بفتح المهملة وسكون الراء بعدها معجمة ... بينها وبين المدينة ثلاث عشرة مرحلة، وقال ابن عبد البر: قيل واد بتبوك، وقيل بقرب تبوك»^(١). وقال ابن حجر أيضاً: «فالحاصل أن عمر أراد بالرجوع ترك الإلقاء إلى التهلكة، فهو كمن أراد الدخول إلى دار فرأى بها مثلاً حريقاً تعذر طفؤه فعدل عن دخولها لئلا يصيبه، فعدل عمر لذلك، فلما بلغه الخبر جاء موافقاً لرأيه فأعجبه»^(٢).

وقال ابن حجر تعليقاً على حديث المجذوم: «واختلف العلماء في المجذومين إذا كثروا هل يمنعون من المساجد والمجامع؟ وهل يتخذ لهم مسكن منفرد عن الأصحاء؟»^(٣).

٨- القيام بالتبرع للمستشفيات بأجهزة غسيل الكلوي، أو القيام بإنشاء مراكز خاصة للتبرع بالكلوي، تكون مهمتها تخفيف معاناة مرضى الفشل الكلوي، بإيجاد مراكز تطوعية متخصصة في عملية (الغسيل الكلوي) والاحصاءات تقول: بزيادة مرضى الفشل الكلوي في الوقت الحاضر سنة عن أخرى.^(٤)

وهذا يدخل في باب الإحسان إلى المريض ونفعه، فالرسول صلى الله عليه وسلم دعا إلى منفعة المريض، ما دام الإنسان يستطيع تقديم منفعة له، كما روى جابر رضي الله عنه قال: ((لدغت رجلاً منا عقرب، ونحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رجل: يارسول الله أرقني؟ قال: من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل))^(٥).

وأي منفعة لمريض ملأت السموم جسده، ولا سبيل إلى إزالتها إلا بجهاز الغسيل الكلوي.

(١) انظر ابن حجر. ج ١٠. ص ١٩٥.

(٢) ابن حجر. فتح الباري. ج ١٠. ص ١٩٧.

(٣) ابن حجر. فتح الباري. ج ١٠. ص ١٧٢.

(٤) انظر عبدالله النعيم. العمل الاجتماعي التطوعي. ص ١٥-١٦. وانظر. د. محمد شاهين وزميله. العمل التطوعي في الإسلام. ص ١٤.

(٥) وانظر. د. محمد مظاهري. واقع العمل التطوعي في المملكة العربية السعودية. ص ٢٠١.

(٦) رواه مسلم. كتاب الطب. استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة. حديث ٢١٩٩.

٩- التبرع من الأطباء بمعالجة المرضى الذين يحتاجون عمليات جراحية في

البلدان الإسلامية الفقيرة، كعمليات العيون، أو القلب ونحو ذلك. وفي هذا تخفيف عن معاناة هؤلاء الفقراء، وفتح باب الأمل أمامهم للعيش في حياة أفضل.

ولقد تبرع الرسول صلى الله عليه وسلم بإرسال طبيب إلى أحد الصحابة كي يعالجه، فعن جابر رضي الله عنه قال: ((بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بن كعب طبيباً، فقطع منه عرقاً ثم كواه عليه))^(١).

وهذا دليل على حرص الرسول صلى الله عليه وسلم في التبرع لأصحابه بطبيب حاذق، يعالج حالة الصحابي المريض.

١٠- التبرع بالحليب المجفف لأبناء المسلمين الفقراء، الذين لا يستطيعون شراء

ذلك الحليب، وذلك في حال تعذر الرضاعة الطبيعية و الكافية من الأم، لكي ينمو جسم ذلك الطفل نمواً طبيعياً، ولا يعاني من سوء التغذية.

ولقد كان التبرع بالإرضاع موجوداً في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، فلقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه فقال: ((كان إبراهيم مسترضعاً له في عوالي المدينة، فكان ينطلق ونحن معه، فيدخل البيت وإنه ليدخن، وكان ظنره قيناً، فيأخذه فيقبله، ثم يرجع))^(٢).

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يجعل مرضعة لابنه إبراهيم، ويقوم بزيارته وهو عندها.

المبحث الرابع: التطوع في المجال الثقافي

(١) رواه مسلم. كتاب الطب. باب لكل داء دواء، استحباب التداوي. حديث ٢٢٠٧.

(٢) رواه مسلم. كتاب الفضائل. باب رحمته صلى الله عليه وسلم بالصبيان والعيال، وتواضعه، وفضل ذلك. حديث ٢٣١٦.

اهتم الإسلام في العناية بتثقيف المجتمع ونشر المعرفة بين أبناء المسلمين حيث كانت أول آية نزلت من القرآن الكريم هي: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(١)، قال ابن سعدي: «هذه السورة أول السور القرآنية نزولاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها نزلت عليه في مبادئ النبوة، إذ كان لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان، فجاءه جبريل عليه الصلاة والسلام بالرسالة، وأمره أن يقرأ فامتنع، وقال: ما أنا بقارئ، فلم يزل به حتى قرأ، فأنزل الله عليه: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(٢)... فعلمه القرآن، وعلمه الحكمة، وعلمه بالقلم، الذي به تحفظ العلوم، وتضبط الحقوق، وتكون رسلاً للناس تنوب مناب خطابهم»^(٣) لذلك كان لتنوير الإنسان، وتعليمه وتثقيفه الأهمية الكبرى في الدين الإسلامي، حيث فضل العالم على العابد، ورفع الله شأن العلماء فقال:

﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ

يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٤)، قال ابن سعدي: «أي لا يستوي هؤلاء ولا هؤلاء كما لا يستوي الليل والنهار، والضياء والظلام، والماء والنار، (أُولُو الْأَلْبَابِ) أي: أهل العقول الزكية الذكية، فهم الذين يؤثرون الأعلى على الأدنى فيؤثرون العلم على الجهل، وطاعة الله على مخالفته، لأن لهم عقولاً ترشدتهم للنظر في العواقب بخلاف من لا لبُّ له ولا عقل، فإنه يتخذ إلهه هواه»^(٥).

وكان من أبرز المجالات التي فيها نفس تطوعي، وتتعلق بالجمال الثقافي ما يأتي:

١- إقامة ندوات ومؤتمرات تطوعية تتصل برفع مستوى الوعي الثقافي والمعرفي

(١) سورة العلق: الآية ١.

(٢) سورة العلق: الآية ١.

(٣) ابن سعدي. تيسير الكريم الرحمن. تحقيق عبدالرحمن بن معلا اللويحي. ط ١. بيروت: مؤسسة الرسالة. ١٤٢١ هـ. ص ٩٣٠.

(٤) سورة الزمّر: الآية ٩.

(٥) ابن سعدي. مرجع سابق. ص ٧٢٠.

لدى جماهير المتلقين، وذلك من خلال تبرع العلماء والمفكرين بإلقاء هذه المحاضرات والمشاركة في تلك المؤتمرات، كإقامة مؤتمر مثلاً عن (أخطار المخدرات) فهذا يبين ضررها الأمني كمختص في الأمن الفكري، وذلك يبين ضررها الاجتماعي كمختص في علم الاجتماع، والآخر ضررها الصحي من خلال تخصصه الطبي وهكذا.

فلقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعظ الناس، ويقوم لهم الدروس، كما كان يفعل صلى الله عليه وسلم مع نساء المسلمين، حيث كان يعظهن ويعلمهن بمواعظ خاصة بهن، قال ابن عباس رضي الله عنهما ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ومعه بلال، فظن أنه لم يسمع النساء، فوعظهن، وأمرهن بالصدقة...))^(١). فموعظة الرسول صلى الله عليه وسلم لهن بمثابة درس علمي، أو بلغة اليوم محاضرة علمية.

٢- التطوع في إنشاء مكتبات عامة تحوي جميع المعارف والعلوم تحت سقف واحد مع تجهيزها بقاعدة بيانات ومعلومات تسهل على الباحثين وطلاب العلم الوصول إلى المعلومة بأقصر طريق.

وهذا من نشر العلم الذي حثت عليه الشريعة، فربما يستفيد قارئ الكتاب أكثر من صاحب الكتاب نفسه، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: ((ليبلغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه))^(٢).

قال ابن حجر: «وفي هذا الحديث من الفوائد - غير ما تقدم - الحث على تبليغ العلم، وجواز التحمل قبل كمال الأهلية، وأن الفهم ليس شرطاً في الأداء، وأنه قد يأتي في الآخر من يكون أفهم ممن تقدمه لكن بقلة»^(٣)

(١) رواه البخاري. كتاب العلم. باب عظة الإمام النساء وتعليمهن. حديث ٩٨.

(٢) رواه البخاري. كتاب العلم. باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (رب مبلغ أوعى من سامع) حديث ٦٧.

(٣) ابن حجر. فتح الباري. ج ١. ص ١٩٢.

٣- التطوع في إقامة مسابقات لتحفيظ القرآن، والسنة النبوية، حيث يجب علينا كمسلمين الاهتمام بهما، والعناية بحفظهما، وفهمهما، لأنهما أصل التشريع في الإسلام ولا يمكن فهم الدين إلا من خلالهما.

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يطبق مفهوم المسابقة في حفظ القرآن الكريم حين أراد دفن قتلى غزوة أحد فيقدم الأكثر حفظاً في وضعه باللحد على من كان أقل حفظاً منه كما روى جابر رضي الله عنه: ((أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد، ثم يقول: أيهم أكثر أخذاً للقرآن؟ فإذا أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد))^(١).

قال ابن حجر: « وفيه فضيلة ظاهرة لقارئ القرآن »^(٢).

٤- التطوع بإقامة مسابقات ثقافية في الإلقاء، والشعر، والمعلومات العامة، وذلك بغرض نشر المعرفة الثقافية بين جيل الشباب خصوصاً، من خلال بث روح المنافسة بينهم وهذا ينمي الروح الثقافية لدى هذه الفئة العمرية، التي تستشرف الأمة مستقبليها، بما تحتزنه عقولهم من وعي وإدراك معرني.

فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يجب أن يسمع إنشاد الشعر الجميل، فلقد رُوي عن الشريد الثقفي رضي الله عنه^(٣) أنه قال: ((ردفت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال: هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت^(٤) شيئاً؟ قلت: نعم، قال: هيه، فأنشدته بيتاً، فقال: هيه، ثم أنشدته بيتاً، فقال: هيه، حتى أنشدته مائة بيت))^(٥).

(١) رواه البخاري. كتاب الجنائز. باب من يقدم في اللحد. حديث ١٣٤٧.

(٢) ابن حجر. فتح الباري. ج ٣. ص ٢٥٣.

(٣) هو الشريد بن سويد الثقفي، سكن الطائف، شهد بيعة الرضوان ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم، انظر ابن حجر. الإصابة في تمييز الصحابة. ط ١. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤١٥ هـ. ج ٣. ص ٢٧٥-٢٧٦.

(٤) هو أمية بن عبد الله بن أبي الصلت الثقفي، شاعر جاهلي من أهل الطائف، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسلم، مات في الطائف سنة ٥ هـ، انظر الزركلي. الأعلام. ط ٤. بيروت: دار العلم للملايين ١٩٧٩ م. ج ٢. ص ٢٣.

(٥) رواه مسلم. كتاب الشعر. باب في إنشاد الأشعار، وبيان أشعر كلمة وذم الشعر. حديث ٢٢٥٥.

قال النووي: «ومقصود الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم استحسّن شعر أمية واستزاد من إنشاده، لما فيه من الإقرار بالوحدانية والبعث، ففيه جواز إنشاد الشعر الذي لا فحش فيه، إنما هو الإكثار منه، وكونه غالباً على الإنسان، فأما يسيره فلا بأس بإنشاده وسماعه، وحفظه»^(١)

فدل ذلك على أن تنظيم مسابقات في الشعر الجيد المعنى إنما هو أمر مستحسن، ينبغي على المدارس، والمراكز الثقافية القيام به، لرفع الذائقة الأدبية عند جمهور الناس.

٥- التطوع من خلال طباعة الكتب الثقافية والنشرات العلمية، وتوزيعها مجاناً
على المهتمين بالشأن الثقافي، وكذلك على جيل الشباب المسلم المتعلم، لكي يصبح الكتاب حاضراً في حياة هؤلاء الشباب، فترتقي ثقافتهم، ويرتفع منسوب الوعي لديهم، فتصبح هموم الأمة هي همومهم، والبحث عن حلولها هو شاغل تفكيرهم.^(٢)

فطباعة الكتب النافعة يعتبر من الصدقة الجارية التي حث عليها الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله: ((إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله، إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له))^(٣)
قال النووي عن هذا الحديث بأن فيه: « بيان فضيلة العلم والحث على الاستكثار منه، والترغيب في توريثه بالتعليم، والتصنيف، والإيضاح »^(٤)
فهذا دليل على أن طباعة الكتاب وتوزيعه على المسلمين فيه أجر عظيم من الله عز وجل.

المبحث الخامس: التطوع في مجال الحفاظ على البيئة

(١) النووي. صحيح مسلم بشرح النووي. ج ١٥. ص ١٢.

(٢) انظر عبدالله النعيم. العمل الاجتماعي التطوعي. ص ١٦. وانظر. د. محمد مظهري. واقع العمل التطوعي في المملكة العربية السعودية. ص ٢٠١.

(٣) رواه مسلم. كتاب الوصية. باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته. حديث ١٦٣١.

(٤) النووي. صحيح مسلم بشرح النووي. ج ١١. ص ٨٥.

البيئة هي المكان الذي يعيش فيه الإنسان، لذلك كان الاهتمام بها اهتماماً بالإنسان ذاته، وما يحصل الآن من اعتداء على هذه البيئة واستنزافها، يعتبر اعتداء على الإنسان، فكأن الإنسان يعتدي على أخيه الإنسان من خلال اعتدائه على البيئة الحاضنة له، ومن أبرز مجالات التطوع في هذا المجال البيئي:

١- التطوع في غرس الأشجار:

حيث حثت الشريعة على ذلك فقال صلى الله عليه وسلم: ((ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير، أو إنسان، أو بهيمة، إلا كان له به صدقة))^(١).

قال ابن حجر: «وفي الحديث فضل الغرس والزرع والحض على عمارة الأرض... ومقتضاه أن أجر ذلك يستمر ما دام الغرس أو الزرع مأكولاً منه، ولو مات زارعه أو غارسه، ولو انتقل مكانه إلى غيره، وظاهر الحديث أن الأجر يحصل لمتعاطي الزرع أو الغرس، ولو كان ملكه لغيره... قال الطيبي: نُكِّرَ مسلماً وأوقعه في سياق النفي وزاد من الاستغراقية وعم الحيوان، ليدل على سبيل الكناية على أن أي مسلم كان حرّاً، أو عبداً، مطيعاً، أو عاصياً يعمل أي عمل من المباح ينتفع بما عمله أي حيوان كان يرجع نفعه إليه ويثاب عليه»^(٢).

٢- التطوع في منع قطع الأشجار:

وذلك من خلال نشر وتوزيع منشورات وكتيبات تبين ضرر قطع الأشجار على البيئة والإنسان، وكذلك تحث على عدم الاحتطاب الجائر، احتطاباً يؤدي إلى القضاء على الشجرة في الصحاري والغابات.

(١) رواه البخاري. كتاب الحرت والمزراعة. باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه. حديث ٢٣٢٠، ورواه مسلم. كتاب المساقاة. باب

فضل الغرس والزرع. حديث ١١٨٩.

(٢) انظر. ابن حجر. فتح الباري. ج ٥. ص ٦.

فالرسول صلى الله عليه وسلم نهي أن تقطع أشجار مكة والمدينة التي داخل حدود الحرم حيث قال: ((إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دمًا، ولا يعضد بها شجرة...))^(١).

وقال صلى الله عليه وسلم عن المدينة: ((المدينة حرم من كذا وكذا، لا يقطع شجرها...))^(٢).

قال ابن حجر: «(لا يعضد فيها شجرة)، أي لا يقطع... وقال ابن العربي: اتفقوا على تحريم قطع شجر الحرم... وأجازوا قطع الشوك لكونه يؤذي بطبعه فأشبهه الفواسق، ومنعه الجمهور»^(٣).

وقال ابن حجر عن حديث المدينة: «وقال ابن قدامة: يحرم صيد المدينة وقطع شجرها، وبه قال مالك والشافعي وأكثر أهل العلم»^(٤).

ويمنع القطع خارج مكة والمدينة إلا للحاجة، والحاجة تقدر بقدرها فقط، لذلك يجب منع ومراقبة الناس من الاحتطاب الجائر الذي أباد الأشجار وأفناها.

٣- التطوع في منع الصيد الجائر، الذي قد يؤدي إلى تهديد بعض الطيور والحيوانات بالانقراض، ولقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن صيد الحرم وهذا فيه حماية للطيور والحيوانات من القتل، حيث روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: ((لو رأيت الظباء بالمدينة ترتع ما ذعرتها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما بين لابتها حرام))^(٥).

(١) رواه البخاري. كتاب جزاء الصيد. باب لا يعضد شجر الحرم. حديث ١٨٣٢.

(٢) رواه البخاري. كتاب فضائل المدينة. باب حرم المدينة. حديث ١٨٦٧.

(٣) ابن حجر. فتح الباري. ج ٤. ص ٥٣.

(٤) ابن حجر. فتح الباري. ج ٤. ص ١٠٠.

(٥) رواه البخاري. كتاب فضائل المدينة. باب لابتها حرام. حديث ١٨٧٣.

قال ابن حجر: «(لو رأيت الطباء ترتع) أي تسعى أو ترعى بالمدينة، (ما ذعرتها) أي ما قصدت أخذها فأخفتها بذلك، وكفى بذلك عن عدم صيدها، واستدل أبو هريرة بقوله صلى الله عليه وسلم: (ما بين لابتها - أي المدينة - حرم) لأن المراد بذلك المدينة لأنها بين لابتين شرقية وغربية»^(١).

وما جاء من المنع من الصيد في حرم مكة حيث قال صلى الله عليه وسلم: ((إن الله حرم مكة، فلم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، وإنما أحلت لي ساعة من نهار، لا يُجتلي خلالها، ولا يعضد شجرها، ولا ينفر صيدها...))^(٢).

قال ابن حجر: «قوله: (باب لا ينفر صيد الحرم) بضم أوله وتشديد الفاء المفتوحة، قيل هو كناية عن الاصطياد، وقيل هو على ظاهره كما سيأتي، قال النووي: يحرم التنفير - وهو الازعاج - عن موضعه، فإن نفره عصي، سواء تلف أم لا، فإن تلف في نفاه قبل سكونه ضمن وإلا فلا، قال العلماء: يستفاد من النهي عن التنفير تحريم الإتلاف بالأولى»^(٣).

ولولي الأمر أن يمنع الصيد الجائر الذي أتلف الحيوانات والطيور وقضى عليها حتى تكاد تكون انقرضت بعض أنواع الحيوانات والطيور لاستعداد الإنسان عليها بالصيد الجماعي الذي أفناها.

٤ - التطوع في إمطة الأذى عن طريق الناس:

لقد حثت الشريعة الإسلامية على إبعاد كل ما يؤذي الناس في طريقهم، أو يعرقل حركة سيرهم، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس))^(٤).

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج ٤، ص ١٠٧.

(٢) رواه البخاري، كتاب جزاء الصيد، باب لا ينفر صيد الحرم، حديث ١٨٣٣.

(٣) ابن حجر، فتح الباري، ج ٤، ص ٥٥-٥٦.

(٤) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، فضل إزالة الأذى عن الطريق، ١٩١٤.

قال ابن بطال: «فيه أن نزع الأذى من الطريق من الأعمال الصالحة التي يرجى بها الغفران من الله تعالى»^(١).

وقوله صلى الله عليه وسلم: ((عرضت علي أعمال أمتي حسنها وسيئها فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق، ووجدت في مساوي أعمالها النخاعة تكون في المسجد لا تدفن))^(٢).

ففي هذا الحديث بيان أن من أفضل الأعمال إبعاد الأذى عن الطريق، ومن أسوأها أيضاً عدم دفن ما هو مكروه للنفس، من وجود نخاعة أي (نخامة) في أرض المسجد، وهو وجه آخر لكف ما يؤذي النفس الإنسانية ويؤدي إلى امتعاضها.

المبحث السادس: التطوع في مجال رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة

يوجد فئة من الناس قدر الله لها أن تُحرّم من الحركة إما مرضاً كشلل الأطفال، أو لحادث معين كالحوادث المرورية، ومع ارتفاع حوادث السيارات صار عدد هؤلاء يزداد سنة بعد سنة، وعليه كان على المجتمع واجب أخلاقي للعناية بهم وتسهيل أمورهم ومن ذلك:

١- التطوع بإنشاء مراكز تأهيل للحركة:

وذلك إما بتركيب أطراف صناعية، أو القيام بتدليك الأطراف بعلاجات وأجهزة طبية حديثة متطورة، لمحاولة تخفيف إعاقة هذا الإنسان.

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يهتم بهذه الفئة الغالية علينا كمسلمين فعن أنس رضي الله عنه ((أن امرأة كان في عقلها شيء، فقالت: يا رسول الله، إن لي

(١) ابن بطال. شرح ابن بطال على صحيح البخاري. تحقيق مصطفى عطا. دار الكتب العلمية ط ١. ١٤٢٤هـ. ج ٢. ص ٣٤٦.

(٢) رواه مسلم. كتاب المساجد ومواضع الصلاة. باب النهي عن البصاق في المسجد. حديث ٥٥٣

إليك حاجة؟ فقال: يا أم فلان انظري أي السكك شئت حتى أقضي لك حاجتك، فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها))^(١).

قال النووي وفيه: « بيان تواضعه بوقوفه مع المرأة الضعيفة»^(٢)

وهذا يبين مدى اهتمامه صلى الله عليه وسلم بذوي الاحتياجات الخاصة، وسعيه في قضاء حوائجهم.

٢- التطوع بافتتاح معاهد للصم والعمي:

يجب علينا كمسلمين الاهتمام بمؤلاء وتعليمهم، فالصم لهم لغة الإشارة التي صارت لغة عالمية، والعمي لهم طريقة (برايل) للقراءة.

فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يهتم بهذه الفئة، ولقد عاتبه الله سبحانه وتعالى حين عبس في وجه الأعمى الذي جاءه وهو جالس مع علية القوم ووجهائهم، وكان ذلك العتاب للرسول، بالرغم من أن الأعمى لم يكن رأى عبوسه صلى الله عليه وسلم في وجهه، لتعذر الرؤية منه لفقدته بصره، ولكن الله كان يراه، فأنزل هذه الآيات: ﴿عَبَسَ

وَتَوَلَّى ۚ ۝١ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۝٤ أَمَّا

مَنْ أَسْتَفْتَى ۝٥ فَانْتَ لَهُ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَبَ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۝٨ وَهُوَ يُخْشَى

۝٩ فَانْتَ عَنْهُ نُكَلِّى ۝١٠ ﴿٣﴾

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآيات عندما يقابل ابن أم مكتوم يهش له ويسط له الفراش، ويقول له: (مرحباً بمن عاتبني فيه ربي)^(٤).

(١) رواه مسلم. كتاب الفضائل. باب قرب النبي صلى الله عليه وسلم من الناس وتركهم به. حديث ٢٣٢٦.

(٢) النووي. صحيح مسلم بشرح النووي. ج ١٥ ص ٨٢.

(٣) سورة عبس. الآيات ١-١٠.

(٤) انظر. تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن. بيروت: دار الكتاب العربي. بدون تاريخ. ج ١٩ ص ١٨٤.

فهذه القصة توحى بأن ذوي الاحتياجات الخاصة لهم الأولوية في قضاء حوائجهم على غيرهم من الأصحاء.

٣- التطوع في افتتاح مجتمعات صحية لرعايتهم:

فالإسلام أولى هؤلاء اهتماماً خاصاً، وسعى إلى تحقيق كل ما يخفف من معاناتهم، ومن ذلك افتتاح مراكز صحية تهتم بهم وبمداوتهم وعلاجهم.

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما دعاه رجل أعمى هو عتيان بن مالك^(١) رضي الله عنه ليصلي في بيته، ويتخذ مصلاه صلى الله عليه وسلم مسجداً حيث ((أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إني أنكرت بصري وأنا أصلي لقومي، فإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم لم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي لهم فوددت يا رسول الله أنك تأتي فتصلي في بيتي، فاتخذة مصلي، فقال: سأفعل إن شاء الله، قال عتيان: فغدا علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر حين ارتفع النهار، فاستأذن النبي صلى الله عليه وسلم فأذنت له، فلم يجلس حتى دخل البيت ثم قال لي: أين تحب أن أصلي من بيتك؟ فأشرت إلى ناحية من البيت، فقام النبي صلى الله عليه وسلم فكبر فصفنا فصلني ركعتين ثم سلم...))^(٢)

قال ابن حجر: « وفي هذا الحديث من الفوائد: إمامة الأعمى، وإخبار المرء عن نفسه بما فيه من عاهة ولا يكون من الشكوى »^(٣)

فالرسول صلى الله عليه وسلم استجاب لدعوة هذا الأعمى، وجاء إلى بيته فاعلاً ذلك مشاركة له وتطبيعاً لحاطره.

(١) عتيان بن مالك بن عمرو بن بني عوف، شهد بدرًا وأحد والخندق، كُف بصره في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، توفي في خلافة معاوية، انظر الزركلي. الأعلام. ج ٤. ص ٢٠٠.

(٢) رواه البخاري. كتاب الصلاة. باب المساجد في البيوت. حديث ٤٢٥. وكتاب الأئمة. باب الخزيرة. حديث ٥٤٠١.

(٣) ابن حجر. فتح الباري. ج ١. ص ٦٢٢.

٤- التطوع في إلقاء محاضرات توعوية لذوي الاحتياجات الخاصة:

وذلك بإلقاء محاضرات ترفع معنوياتهم، وتبعث روح الأمل فيهم، وتحثهم على الصبر. فلقد روي عن عطاء بن أبي رباح^(١) أن ابن عباس رضي الله عنهما قال له: ((ألا أريك امرأة من أهل الجنة، قال بلى، قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي صلى الله عليه وسلم قالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي، قال: إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك، فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف فادع الله لي أن لا أتكشف، فدعا لها))^(٢).

قال ابن حجر: «وفي الحديث فضل من يصرع، وأن الصبر على بلايا الدنيا يورث الجنة»^(٣).

ورفعاً لمعنوية هذه الفئة الغالية من البشر، وعد الرسول صلى الله عليه وسلم من فقد بصره بأن يعوضه الله الجنة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله قال إذا ابتليت عبدي بحبيته فصبر عوضته منهما الجنة))^(٤).

قال ابن حجر: «ابتلاء الله عبده في الدنيا ليس من سخطه عليه، بل إما لدفع مكروهه، أو لكفارة ذنوبه، أو لرفع منزلة، فإذا تلقى ذلك بالرضا تم له المراد وإلا يصبر»^(٥).

(١) عطاء بن أبي رباح أبو محمد، فقيه عالم ومحدث، ولد سنة ٢٧هـ، من تلاميذ ابن عباس، توفي سنة ١١٤هـ، انظر. الذهبي. سير أعلام النبلاء. ج.٥ ص.٧٩-٨٨.

(٢) رواه البخاري. كتاب المرضى. باب فضل من يصرع من الريح. حديث ٥٦٥٢، ورواه مسلم. كتاب البر والصلة والآداب. باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، حتى الشوكة يشاكها. حديث ٢٥٧٦.

(٣) ابن حجر. فتح الباري. ج.١٠ ص.١٢٠.

(٤) رواه البخاري. كتاب المرضى. باب فضل من ذهب بصره. حديث ٥٦٥٣.

(٥) ابن حجر. فتح الباري. ج.١٠ ص.١٢١.

المبحث السابع: التطوع في أوقات الحروب والكوارث الطبيعية

عندما تمر الأمة في حالة حرب فإنها تحتاج وقفة جادة من أبنائها غير العسكريين، يقومون بوزاع داخلي بالتبرع في أعمال يحتاجها مجتمعهم، وكذلك عندما تقع كارثة طبيعية من زلزال أو إعصار ونحو ذلك، ومن صور هذا التطوع:

١- التطوع في رفع الروح المعنوية للمقاتلين والمرابطين على جبهات القتال:

لا بد أن يشعر المقاتل في جبهات القتال أنه في معركة لا يخوضها وحده بل يشاركه الكثير من أفراد المجتمع، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يشارك الصحابة رضوان الله عليهم في حفر الخندق، رافعاً روحهم المعنوية، حيث جاء في الحديث ((خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال: اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة، فقالوا مجيبين له: نحن الذين بايعوا محمداً، على الجهاد ما بقينا أبداً))^(١).

فالرسول صلى الله عليه وسلم كما في الرواية، حين رأى ما بهم من النصب والجوع سعى إلى الترويح عنهم، ورفع روحهم المعنوية بهذا الرجز.

قال ابن حجر: «وانتزع الترجمة منه من جهة أن في مباشرته صلى الله عليه وسلم الحفر بنفسه تحريضاً للمسلمين على العمل ليتأسوا به في ذلك»^(٢).

وقال في موضع آخر: «وفيه أن في إنشاد الشعر تنشيطاً في العمل، وبذلك جرت عادتهم في الحرب، وأكثر ما يستعملون في ذلك الرجز»^(٣).

(١) رواه البخاري. كتاب الجهاد والسير. باب التحريض على القتال. حديث ٢٨٤٣، ورواه مسلم. كتاب الجهاد والسير. باب غزوة

الأحزاب وهي الخندق. حديث ١٨٠٥.

(٢) ابن حجر. فتح الباري. ج ٦. ص ٥٤.

(٣) ابن حجر. فتح الباري. ج ٧. ص ٤٥٦.

٢- التطوع في المشاركة مع الجنود والعساكر في استعداداتهم العسكرية:

فالجنود بحاجة إلى من يساعدهم في استعداداتهم لمجابهة العدو على جبهات القتال كحفر الخنادق وتسهيل الطرق معهم في المناطق الوعرة ونحو ذلك، فهذا هو الرسول صلى الله عليه وسلم يشارك الصحابة في حفر الخندق عندما يحتاجونه في عمل لا يقدر عليه غيره كما جاء في الحديث: ((إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كيدة شديدة فجاءوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق، فقال: أنا نازل ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا ندوق ذواقاً، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول، فضرب في الكدية فعاد كثيباً أهيل، أو أهيم...))^(١).

قال ابن حجر: «(تعرضت كيدة)... قيل هي القطعة الشديدة الصلبة في الأرض... وقال عياض كأن المراد أنها واحدة الكيد كأنهم أرادوا أن الكيد - وهي الجبل - أعجزهم فلجئوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم (فعرضت كدية) وهي بضم الكاف وتقديم الدال على التحتانية، وهي القطعة الصلبة الصماء... (فعاد كثيباً) أي رملاً... (هيل أو أهيم)... والمعنى أنه صار رملاً يسيل ولا يتماسك... وأما (أهيم) فقال عياض: ضبطها بعضهم بالمثلثة وبعضهم بالمشناة وفسرها بأنها تكسرت، والمعروف بالتحتانية وهي بمعنى أهيل»^(٢).

وكذلك مشاركته صلى الله عليه وسلم في نقل التراب يوم الخندق، كما جاء في الحديث: (كان النبي صلى الله عليه وسلم ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمر بطنه أو اغرّ بطنه...)^(٣).

٣- التطوع في الحراسات على منشآت الدولة المهمة وقت الحرب:

(١) رواه البخاري. كتاب المغازي. باب غزوة الخندق وهي الأحزاب. حديث ٤١٠١، ورواه مسلم. كتاب الأشربة. استحباب الاجتماع على الطعام. حديث ٢٠٣٩.

(٢) انظر. ابن حجر. فتح الباري. ج ٧. ص ٤٥٧-٤٥٨.

(٣) رواه البخاري. كتاب المغازي. باب غزوة الخندق وهي الأحزاب. حديث ٤١٠٤.

عندما تمر الأمة بحالة حرب، فإن منشآتها الحيوية تكون هدفاً من قبل أعدائها كالمصانع الضخمة، ومقار الحكومة، ونحو ذلك، فيحتاج الأمن الداخلي إلى المتطوعين يقومون بواجبهم لحماية هذه المنشآت والمرافق، كما جاء في الحديث الذي روته عائشة رضي الله عنها عن أبيها: ((كان النبي صلى الله عليه وسلم سهر فلما قدم المدينة قال: ليت رجلاً من أصحابي صالحاً يحرسني الليلة، إذ سمعنا صوت سلاح، فقال: من هذا؟ فقال: أنا سعد بن أبي وقاص جئت لأحرسك، فنام النبي صلى الله عليه وسلم)).^(١)

قال ابن حجر: «وفي الحديث الأخذ بالحذر والاحتراز من العدو، وأن على الناس أن يحرسوا سلطانهم خشية القتل، وفيه الثناء على من تبرع بالخير وتسميته صالحاً، وإنما عانى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك مع قوة توكله للاستئذان به في ذلك»^(٢).

٤- التطوع للمشاركة في نقل القتلى في الحروب وسقاية المحاربين:

المشاركة في التطوع للعمل في المستشفيات الحربية الميدانية التي تهتم بالمصابين من الجنود في معارك القتال مطلب شرعي، كما جاء في الحديث عن الرُّبَيْع بنت معوذ قالت: ((كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم نسقي ونداوي الجرحى ونرد القتلى))^(٣).

فالصحبايات كن يعملن في الخطوط الأمامية للقتال، فيحملن القتلى من أرض المعركة ويسقين العطشى منهم، فكن عاملات إغاثة، فدل ذلك على أن هذا العمل مطلب من كل قادر وقت الحرب رجلاً كان أو امرأة.

(١) رواه البخاري. كتاب الجهاد والسير. باب الحراسة في الغزو في سبيل الله. حدي ٢٨٨٥.

(٢) ابن حجر. فتح الباري. ج ٦. ص ٩٦.

(٣) رواه البخاري. كتاب الجهاد والسير. باب مداواة النساء الجرحى في الغزو. حديث ٢٨٨٢.

قال ابن بطال: «النساء لا غزو عليهن وإنما غزوهن تطوع وفضيلة، وعونهن للغزاة بسقي، وسقيهن وتشميرهن هو ضرب من القتال، لأن العون على شيء ضرب منه»^(١).

وكذلك القيام على سقيا الجنود في الحرب وتموينهم بالمياه، نتيجة انشغالهم بالحرب وعطشهم، حث عليه الشرع كما جاء في الحديث عن أنس رضي الله عنه قال: " ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر، وأم سليم، وإنهما لمشمرتان أرى خدام سوقهما تنقزان القرب، وقال غيره: تنقلان القرب على متونهما ثم تفرغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملاهما ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم" ^(٢)

قال النووي: «فيه خروج النساء في الغزو، والانتفاع بهن في السقي والمداواة ونحوها»^(٣).

٥- التطوع في الحرب لصناعة الطعام للجنود الذين في جبهات القتال:

أصبح تموين الجنود علماً يدرس، ولقد كانت المرأة تشارك بهذا الواجب تطوعاً منها وخدمة لدينها، فلقد روت أم عطية الأنصارية^(٤) رضي الله عنها قالت: ((غزوت مع رسول الله صلى الله وسلم سبع غزوات أخلفهم في رحالهم، فأصنع لهم الطعام وأداوي الجرحى، وأقوم على المرضى))^(٥).

فهذه أم عطية كانت تصنع للمجاهدين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ليتقووا به على القتال، وهذا العمل من أفضل أعمال التطوع التي قدمتها المرأة المسلمة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولنا في رسول الله أسوة حسنة.

٦- التطوع في حالة الحرب بحمل السلاح للدفاع عن النفس:

(١) ابن بطال. شرح ابن بطال. ج ٥. ص ٨١.

(٢) رواه البخاري. كتاب الجهاد والسير. باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال. حديث ٢٨٨٠. ورواه مسلم. كتاب الجهاد والسير. باب غزوة النساء مع الرجال. حديث ١٨١١.

(٣) النووي. صحيح مسلم بشرح النووي. ج ١٢. ص ١٨٨.

(٤) أم عطية الأنصارية: هي نسيبة بنت الحارث. انظر. الاستيعاب في معرفة الأصحاب. ج ٤. ص ١٩٤٧.

(٥) رواه مسلم. كتاب الجهاد والسير. باب النساء الغازيات يرضخ لهن ولا سهم. حديث ١٨١٢.

عندما يتطوع المسلم في أعمال الإغاثة وقت الحرب فإنه قد يكون عرضة لاعتداء مسلح عليه من العدو، فعليه في تلك الحالة أن يكون مستعداً للدفاع عن نفسه بسلاحه، كما روى أنس رضي الله عنه ((أن أم سليم^(١) اتخذت يوم حنين خنجراً فكان معها فرآها أبو طلحة فقال: يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجر، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما هذا الخنجر، قالت: اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك...))^(٢)

فالرسول صلى الله عليه وسلم أقر أم سليم على حملها للسلاح، ولم ينكر عليها ذلك، فدل ذلك على جواز حمل السلاح حال الحرب حتى للمرأة.

المبحث الثامن: التطوع في مجال الخدمات العامة

هناك مجالات متعددة في الخدمة العامة يقوم الإنسان فيها بالتطوع ومن ذلك:

١ - بناء المساجد:

لقد حثت الشريعة على هذا العمل، ورغبت فيه، لما فيه من الأجر العظيم عند الله تعالى قال الرسول صلى الله عليه وسلم: ((من بنى مسجداً لله تعالى يتغى به وجه الله بنى الله له بيتاً في الجنة))^(٣).

قال ابن حجر: «(من بنى مسجداً) التنكير فيه للشيوع فيدخل فيه الكبير والصغير... (في الجنة) يتعلق ببني، أو هو حال من قوله (مثله) وفيه إشارة إلى دخول فاعل ذلك الجنة إذ المقصود بالبناء له أن يسكنه، وهو لا يسكنه إلا بعد الدخول»^(٤).

(١) أم سليم بنت ملحان: من الصحابيات، واختلف في اسمها فقيل الرميضاء وقيل سهيلة، وغلبت عليها كنيتهما حتى اشتهرت بها وغلبت على اسمها. انظر ابن عبد البر. الاستيعاب في معرفة الأصحاب. تحقيق علي الجاوي. ط. بيروت: دار الجيل. ١٤١٢هـ. ج ٤. ص ١٩٤٠.

(٢) رواه مسلم. كتاب الجهاد والسير. باب غزوة النساء مع الرجال. حديث ١٨٠٩.

(٣) رواه البخاري. كتاب الصلاة. باب من بنى مسجداً. حديث ٤٥٠، ورواه مسلم. كتاب المساجد ومواضع الصلاة. باب فضل بناء المساجد والحث عليها. حديث ٥٣٣. وكتاب الزهد والرفاق. باب فضل بناء المساجد. حديث ٢٩٨٣.

(٤) ابن حجر. مرجع سابق. ج ١. ص ٦٤٩-٦٥٠.

٢- التطوع في تنظيف المساجد وتعاهدها بالصيانة:

ولقد أولى الإسلام نظافة المساجد أهمية خاصة، وجعل الشارع الحكيم أجراً عظيماً لمن فعل ذلك.

فلقد روى أبو هريرة رضي الله عنه ((أن رجلاً أسود أو امرأة سوداء كان يقيم المسجد فمات فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عنه؟ فقالوا: مات، قال: أفلا كنتم آذنتموني به؟ دلوني على قبره، أو قال: على قبرها، فأتى قبره فصلى عليه))^(١).

قال ابن حجر: «وفي الحديث فضل تنظيف المسجد»^(٢)

وقال: «وفيه المكافأة بالدعاء، والترغيب في شهود جنازات أهل الخير»^(٣).

فوصفت المرأة أو الرجل - بأنه من أهل الخير في تعليق ابن حجر، وفي هذا دليل على أن التطوع في تنظيف المسجد هو من أعمال الخير، التي يرجى لصاحبها الأجر بإذن الله.

٣- التطوع في حفر الآبار لسقيا المحتاج من البشر والحيوانات والطيور:

فالماء هو سر الحياة، وهو العنصر الذي لا يستغني عنه كائن حي من إنسان، وحيوان،

وطير، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَنْ أَسْمَوَاتٍ وَالْأَرْضَ كَانُوا رَتَقًا

فَفَنَقْنَهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٤).

لهذا حث الإسلام على التبرع بحفر الآبار، أو توزيع المياه على المحتاجين.

فقال صلى الله عليه وسلم: ((بينما رجل بطريق فاشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد

(١) رواه البخاري. كتاب الصلاة. باب كتمس المسجد والتقاط الخرق والقذئ والعيذان. حديث ٤٥٨، ورواه مسلم. كتاب الجنائز. باب

الصلاة على القبر. حديث ٩٥٦.

(٢) ابن حجر. فتح الباري. ج ١. ص ٦٥٩.

(٣) ابن حجر. فتح الباري. ج ١. ص ٦٥٩.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٣٠.

بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر فملاً خفه ماء، فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له، قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم لأجراً؟ فقال: في كل ذات كبد رطبة أجر))^(١).

قال ابن حجر: « وفيه الحث على الإحسان إلى الناس، لأنه إذا حصلت المغفرة بسبب سقي الكلب فسقى المسلم أعظم أجراً، واستدل به على جواز صدقة التطوع للمشركين»^(٢).

فدل ذلك على أن السقيا من أعظم أعمال التطوع في الإسلام، بل لقد حذرت الشريعة من منع الناس المحتاجة من الماء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، رجل كان له فضل ماء بالطريق فمنعه من ابن السبيل...))^(٣).

قال ابن حجر: « أي الفاضل عن حاجته، ويدل عليه قوله في حديث الباب (رجل كان له فضل ماء بالطريق فمنعه من ابن السبيل)، قال ابن بطال: فيه دلالة على أن صاحب البئر أولى من ابن السبيل عند الحاجة، فإذا أخذ حاجته لم يجز له منع ابن السبيل»^(٤).

٤ - التطوع على كفالة الأيتام:

اليتيم طفل صغير تكسرت مجادف حياته بوفاة والده، فبقي طفلاً محتاجاً لمن يقف معه ويصبح له سنداً في هذه الحياة، يخفف عنه شيئاً من صدماتها على النفس، وينتصر لحقه حين الظلم، فكان للوقوف مع اليتيم في الإسلام منزلة رفيعة، ودرجة عالية في

(١) رواه البخاري. كتاب المظالم. باب الأبار على الطريق إذا لم يتأذ بها. حديث ٢٤٦٦، ورواه مسلم. كتاب السلام. باب فضل ساقى

البهائم المحترمة وإطعامها. حديث ٢٢٤٤

(٢) ابن حجر. فتح الباري. ج. ٥. ص ٥٢.

(٣) رواه البخاري. كتاب الشرب والمساقاة. باب إثم من منع ابن السبيل الماء. حديث ٢٣٥٨.

(٤) ابن حجر. فتح الباري. ج. ٥. ص ٤٢.

الأجر، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة، وأشار مالك بالسبابة والوسطى))^(١)

قال النووي موضحاً مفهوم الكفالة في الحديث فهي تشمل كل ما يتصل باليتيم «من نفقة وكسوة وتأديب وتربية وغير ذلك، وهذه الفضيلة تحصل لمن كفله من مال نفسه أو من اليتيم بولاية شرعية»^(٢)

وتتأكد الكفالة ويعظم أجرها إذا كان اليتيم من الأقارب كما جاء في الحديث عن امرأتين قالتا لبلال رضي الله عنه: ((إئت رسول صلى الله عليه وسلم فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك أتجزى الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام في حجورهما ولا تخبره من نحن، قالت: فدخل بلال على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: من هما، فقال: امرأة من الأنصار زينب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الزيانب، قال: امرأة عبد الله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: لهما أجران، أجر القرابة، وأجر الصدقة))^(٣).

قال ابن حجر: «(ولهما أجران: أجر القرابة وأجر الصدقة) أي أجر صلة الرحم وأجر منفعة الصدقة... وفي الحديث الحث على الصدقة على الأقارب... وفيه الحث على صلة الرحم»^(٤).

٥- التطوع على الأرامل والمساكين وقضاء حوائجهم:

(١) رواه مسلم. كتاب الزهد والرقائق. باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم. حديث ٢٩٨٣.

(٢) النووي. صحيح مسلم بشرح النووي. ج ١٨. ص ١١٣.

(٣) رواه البخاري. كتاب الزكاة. باب الزكاة على الزوج والأيتام في الحجر. حديث ١٤٦٦، ورواه مسلم. كتاب الزكاة. باب فضل النفقة

والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين. حديث ١٠٠٠

(٤) انظر. ابن حجر. فتح الباري. ج ٣. ص ٣٨٦-٣٨٧.

الأرملة التي فقدت زوجها تكون بحاجة إلى من يقضي حاجتها وحاجة صغارها إن كان معها صغار، وكذلك المسكين الذي يحتاج من يساعده في أمور حياته ومعيشته، قال صلى الله عليه وسلم: ((الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار))^(١).

وفي رواية مسلم: ((وأحسبه قال: وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر))^(٢)
قال ابن حجر: «ومعنى الساعي الذي يذهب ويجيء في تحصيل ما ينفع الأرملة والمسكين»^(٣).

فدل الحديث على قضاء مصلحتهما، وجلب ما ينفعهما.

وقوله صلى الله عليه وسلم: ((المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة))^(٤).

قال ابن حجر: «وفي الحديث حض على التعاون وحسن التعاشر والألفة، وفيه المجازاة تقع من جنس الطاعات»^(٥).

٦- التطوع على رفع الظلم والوقوف مع المظلوم:

وذلك بالانتصار للمظلوم والوقوف معه حتى يسترد حقه، وبمنع الظالم من أن يتمادى ويستمر في ظلمه، وذلك بإيقاف هذا الظلم المتأتي منه ومنعه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قالوا يا رسول الله: هذا ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً؟ قال: تأخذ فوق يديه))^(٦).

(١) رواه البخاري. كتاب النفقات. باب فضل النفقة على الأهل. حديث رقم ٥٣٥٣.

(٢) رواه مسلم. كتاب الزهد والرفائق. باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم. حديث ٢٩٨٢.

(٣) ابن حجر. فتح الباري. ج ٩. ص ٤١٠.

(٤) رواه البخاري. كتاب المظالم. باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه. حديث ٢٤٤٢.

(٥) ابن حجر. فتح الباري. ج ٥. ص ١١٧.

(٦) رواه البخاري. كتاب المظالم. باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً. حديث ٢٤٤٣.

قال ابن حجر: «(فقال تأخذ فوق يديه) كنى به عن كفه عن الظلم بالفعل إن لم يكف بالقول، وعبر بالفوقية إشارة إلى الأخذ بالاستعلاء والقوة... قال ابن بطال: النصر عند العرب الإعانة، وتفسير نصر الظالم بمنعه من الظلم من تسمية الشيء بما يؤول إليه وهو من وجيز البلاغة»^(١).

٧- التطوع على إغاثة الملهوف:

الإسلام كدين أخلاقي جاء يحث على نجدة من يستغيث لوقوعه في مشكلة مثلاً أو مصيبة، أو نحو ذلك، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((على كل مسلم صدقة فقالوا: يا نبي الله فمن لم يجد؟ قال: يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق، قالوا فإن لم يجد؟ قال: يعين ذا الحاجة الملهوف قالوا: فإن لم يجد؟ قال: فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر فإنها له صدقة))^(٢).

قال ابن حجر: «(الملهوف) أي المستغيث، وهو أعم من أن يكون مظلوماً أو عاجزاً»^(٣)

وقال أيضاً: «قال الزبير بن المنير: ومقصود هذا الباب أن أعمال الخير تنزل منزلة الصدقات في الأجر ولا سيما في حق من لا يقدر عليها... ومحصل ما ذكر في حديث الباب أنه لا بد من الشفقة على خلق الله، وهي إما بالمال أو غيره، إما حاصل أو مكتسب، وغير المال إما فعل وهو الإغاثة، وإما ترك وهو الإمساك»^(٤).

٨- التطوع في الشفاعة في أمور الدنيا:

الشفاعة هي طلب شخص قضاء حاجة لغيره، وهي من قضاء حوائج الناس الذين لا يستطيعون الجري خلفها، لضعفهم، أو لظروفهم الاجتماعية أو النفسية أو الصحية،

(١) انظر ابن حجر. فتح الباري. ج. ٥. ص ١١٨.

(٢) رواه البخاري. كتاب الزكاة. باب على كل مسلم صدقة. حديث رقم ١٤٤٥ وحديث ٦٠٢١.

(٣) ابن حجر. فتح الباري. ج. ٣. ص ٣٦١.

(٤) انظر ابن حجر. فتح الباري. ج. ٣. ص ٣٦٢.

قال صلى الله عليه وسلم: ((اشفعوا فلتؤجروا وليقض الله على لسان نبيه ما شاء))^(١).

قال ابن حجر: «الأجر على الشفاعة ليس على العموم بل مخصوص بما تجوز فيه الشفاعة، وهي الشفاعة الحسنة، وضابطها ما أذن فيه الشرع دون ما لم يأذن فيه كما دلت عليه الآية... وحاصله أن من شفع لأحد في الخير كان له نصيب من الأجر، ومن شفع له بالباطل كان له نصيب من الوزر»^(٢).

قال ابن حجر: «وفي الحديث الحض على الخير بالفعل وبالتسبب إليه بكل وجه والشفاعة إلى الكبير كشف كربة ومعوونة ضعيف، إذ ليس كل أحد يقدر على الوصول إلى الرئيس ولا يتمكن منه ليلج عليه، أو يوضح له مراده ليعرف حاله على وجهه، وإلا فقد كان صلى الله عليه وسلم لا يحتجب، قال القاضي عياض: ولا يستثنى من الوجوه التي تستحب الشفاعة فيها إلا الحدود»^(٣).

٩- التطوع في التنفيس عن المعسر:

الإنسان في هذه الحياة حتى ولو كان غنياً تاجراً، قد يتعرض لأزمات اقتصادية تذهب بتجارته ويصبح مفلساً، فالدنيا ليس فيها ضمان، بل تتغير من حال إلى حال، والإنسان عندما يصبح معسراً فإن التخفيف عنه بإنقاص بعض ديونه، أو تأجيلها، مما حثت عليه الشريعة، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: ((كان تاجراً يداين الناس، فإذا رأى معسراً قال لفتيانه: تجاوزوا عنه لعل الله أن يتجاوز عنا، فتجاوز الله عنه))^(٤).

(١) رواه البخاري. كتاب الآداب. باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً. حديث ٦٠٢٧.

(٢) انظر ابن حجر. فتح الباري. ج ١٠. ص ٤٦٦.

(٣) ابن حجر. فتح الباري. ج ١٠. ص ٤٦٥-٤٦٦.

(٤) رواه البخاري. كتاب البيوع. باب من أنظر معسراً. حديث ٢٠٧٨، ورواه مسلم. كتاب المساقاة. باب فضل إنظار المعسر. حديث

قال ابن حجر: «ويدخل في لفظ التجاوز الإنظار، والوضيعة، وحسن التقاضي»^(١).
وقال النووي: «وفيه فضل إنظار المعسر والوضع عنه إما كل الدين، أو بعضه من كثير أو قليل، وفضل المسامحة في الانتظار وفي الاستيفاء سواء استوفى من موسر، أو من معسر، وفضل الوضع من الدين، وأنه لا يحتقر شيئاً من أفعال الخير فلعله سبب السعادة والرحمة»^(٢).

١٠ - التطوع في إعداد وجبات الإفطار للصائمين في رمضان وغيره:

لقد اهتم الإسلام في أجر افطار الصائم، فلقد أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على الصحابة الذين أفطروا وهم في سفر، وكانوا في خدمة إخوانهم الصائمين كما جاء من حديث أنس رضي الله عنه قال: ((كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم أكثرنا ظلاً من يستظل بكسائه، وأما الذين صاموا فلم يعملوا شيئاً، وأما الذين أفطروا فبعثوا الركاب وامتهنوا وعالجوا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ذهب المفطرون اليوم بالأجر))^(٣).

قال ابن حجر: «وليس المراد نقص أجر الصوم بل المراد أن المفطرين حصل لهم أجر عملهم ومثل أجر الصوم، لتعاطيهم أشغالهم، وأشغال الصوم»^(٤).
وهذا دليل على عظم أجر المتطوع على إفطار الصائمين، وأن أجره قد يفوق أجر الصائم.

١١ - التبرع في السعي للإصلاح بين الناس:

وأعظم القرب إلى الله تعالى السعي في الإصلاح بين الناس، لأن الإسلام حريص على سيادة المحبة بين الناس، وكاره للبغضاء والشحناء بينهم، لذلك قال الرسول صلى الله

(١) ابن حجر. فتح الباري. ج ٤. ص ٣٦٢.

(٢) النووي. شرح صحيح مسلم بشرح النووي. ج ١٠. ص ٢٢٤.

(٣) رواه البخاري. كتاب الجهاد والسير. باب فضل الخدمة في الغزو. حديث ٢٨٩٠.

(٤) ابن حجر. فتح الباري. ج ٦. ص ٩٩-١٠٠.

عليه وسلم: ((كل سلامي من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين الناس صدقة...))^(١)

قال ابن حجر: «قال ابن المنير: ترجم على الإصلاح والعدل ولم يورد في هذا الحديث إلا العدل، لكن لما خاطب الناس كلهم بالعدل وقد علم أن فيهم الحكام وغيرهم فكان عدل الحاكم إذا حكم، وعدل غيره إذا أصلح، وقال غيره: الإصلاح نوع من العدل، فعطف العدل عليه من عطف العام على الخاص»^(٢).

وقال النووي: «يعدل بين الاثنين صدقة، أي يصلح بينهما بالعدل»^(٣).

١٢ - التبرع للناس بإعارة ما هو ثمين من مجوهرات وملابس قد لا يستطيع كثير من الناس توفير فستان فرح في ليلة زواج ابنته لقلة ذات اليد، أو قد لا يستطيع حضور هذا الفرحة وهي لا تضع قرطاً في أذنها، أو قطعة ذهب تتدلى على صدرها، فكان التبرع لهؤلاء والمشاركة في صنع الفرحة لهم في أيام أفراحهم مطلب شرعي، حث عليه الشارع الحكيم، كما جاء عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ((كان لي منهن درع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كانت امرأة تُقنين بالمدينة إلا أرسلت إليّ تستعيره))^(٤).

قال ابن حجر: «(تقنين) بالقاف أي تزين... وفي الحديث أن عارية الثياب للعروس أمر معمول به مرغّب فيه وأنه لا يعد من الشنع»^(٥).

١٣ - التبرع بالمنيحة تحلب وقت الحاجة ثم ترد إلى صاحبها:

(١) رواه البخاري. كتاب الصلح. باب فضل الإصلاح بين الناس والعدل بينهم. حديث ٢٧٠٧، ورواه مسلم. كتاب الزكاة. باب بيان أن

اسم الصدقة على كل نوع من المعروف. حديث ١٠٩.

(٢) ابن حجر. فتح الباري. ج ٥. ص ٣٦٤.

(٣) النووي. صحيح مسلم بشرح النووي. ج ٧. ص ٩٥.

(٤) رواه البخاري. كتاب الهبة. باب الاستعارة للعروس عند البناء. حديث ٢٦٢٨.

(٥) ابن حجر. فتح الباري. ج ٥. ص ٢٨٦.

كان هذا الأمر معروفاً عند العرب، والمنيحة هي في الأصل العطية، وهي ناقة، أو شاة، أو غيرها من ذوات الألبان تعطى على سبيل العارية لكي ينتفع من لبنها ووبرها زمناً ثم ترد على صاحبها. (١)

وهذا عمل فيه إغناء للمحتاج وقت حاجته، بحيث لا يذهب يتسول الحليب واللبن، فالرسول صلى الله عليه وسلم قال: ((نعم المنيحة اللقحة الصفي منحة، والشاة الصفي تغدو بإناء وتروح بإناء)) (٢).

وقوله صلى الله عليه وسلم: « أربعون خصلة - أعلاهن منيحة العنز - ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها، وتصديق موعودها إلا أدخله الله بها الجنة » (٣).
قال ابن حجر: « اللقحة: الناقة ذات اللبن القريبة العهد بالولادة... والصفي بفتح الصاد وكسر الفاء أي الكريمة الغزيرة اللبن » (٤).

وقد يقوم مقام المنيحة اليوم التصدق باللبن على الفقراء والمحتاجين، وتوزيعه عليهم.

(١) انظر ابن حجر. فتح الباري. ج ٥. ص ٢٨٨.

(٢) رواه البخاري. كتاب الهبة. باب فضل المنيحة. حديث ٢٦٢٩.

(٣) رواه البخاري.. كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها. باب فضل المنيحة. حديث ٢٦٣١.

(٤) ابن حجر. فتح الباري. ج ٥. ص ٢٨٨.

نتائج البحث

- ١- سبق الإسلام في إقرار العمل التطوعي والعمل به، وشموله معظم مناحي الحياة كما جاءت به السنة.
- ٢- أن العمل التطوعي في الإسلام كما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مجال التعليم والتدريب، حيث تطوع صلى الله عليه وسلم فعلم النساء كما علم الرجال، وحث على تعلم الصنعة وإتقانها، وأمر بتعلم لغات الشعوب الأخرى، والتدريب على الخياطة وعلى تربية الأطفال، وعلى تعلم الطهي، وعلى العناية بالموهوبين من الطلاب.
- ٣- السنة النبوية سعت إلى تعليمنا الاهتمام بالأطفال عامة- حتى ولو كانوا غير مسلمين- والتطوع على تعليمهم وهم صغار العلم، والأدب، والأخلاق، وعلى الاهتمام بالأيتام منهم خاصة، ومخالطة الصغار واللعب والترفيه عنهم، وزيارة مريضهم.
- ٤- اهتم الإسلام بالعمل التطوعي في المجال الصحي وذلك بإنشاء المستوصفات والمستشفيات الخيرية، والاهتمام بعلاج المرضى، ومداوتهم ونقل الجرحى والمصابين، سواء في السلم أو الحرب والعناية بزيارة المرضى ورفع روحهم المعنوية، ونشر الثقافة الصحية بعدم الاختلاط بأصحاب الأمراض المعدية، ونفع المريض بكل ما يمكن كأجهزة غسيل الكلوي ونحو ذلك، وتوفير الدم والدواء والحليب لمن يحتاجه تبرعاً.
- ٥- اهتم الإسلام بالعمل التطوعي الثقافي من خلال إقامة الدروس والمحاضرات والندوات، ومن خلال نشر العلم وبثه بين الناس، وإقامة المسابقات الثقافية في مجال حفظ القرآن الكريم والشعر ونحو ذلك، والاهتمام بالكتاب وطباعته ونشره لأنه من العمل الصالح النافع بعد الموت.
- ٦- اهتم الإسلام بالعمل التطوعي في مجال البيئة فحث على غرس الأشجار، ومنع قطعها، ومنع الصيد الجائر الذي يهدد الطيور والحيوانات بالانقراض، ومنع كل ما يؤذي الناس في طريقهم «بيئتهم» من الأوساخ والنفايات ونحو ذلك.
- ٧- اهتم الإسلام بالعمل التطوعي على ذوي الاحتياجات الخاصة كما كان يفعل الرسول

صلى الله عليه وسلم مع من كان في عقولهم ضعف ويستلطف ممازحتهم كما فعل مع الأعمى، ومشاركتهم أفراحهم وأتراحهم، ورفع معنوياتهم، وتصبيرهم وبيان ما عند الله لهم من الأجر بسبب ما فقدوه من أطرافهم، أو حواسهم، أو قدراتهم.

٨- اهتم الإسلام بالعمل التطوعي في أوقات الحروب والكوارث الطبيعية، وذلك يرفع الروح المعنوية للمقاتلين، وفي مشاركة الجنود في معسكراتهم واستعداداتهم العسكرية، وفي التطوع على حراسة منشآت الدولة وقت الحرب، والتطوع في نقل القتلى والجرحى من الجنود، وفي تامين الجنود بالغذاء والدواء، وفي حمل السلاح للدفاع عن المجتمع المسلم.

٩- اهتم الإسلام بالعمل التطوعي في مجال الخدمات العامة من بناء المساجد وتنظيفها وصيانتها، وفي حفر الآبار لسقيا الإنسان والحيوان والطيور، وعلى كفالة الأيتام والاهتمام بهم، وعلى الأراذل والمساكين وخدمتهم، وفي نصره المظلوم والانتصار له، وعلى إغاثة الملهوف إذا استغاث وأظهر حاجة للعون، وفي الشفاعة في أمور الدنيا المباحة لقضاء حاجة من لا يستطيع، وعلى التطوع في التنفيس عن المعسر حتى تتيسر أموره ويستطيع الوفاء، وعلى إعداد الوجبات لإفطار الصائمين في رمضان وغيره، وعلى السعي في الإصلاح بين الناس، وكذلك بإعارة ما يستحق الإعارة لمن يستفيد منه، ونحو ذلك من الأعمال التي خلدتها سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم بفعله وقوله، لتكون نبراساً لنا نستضيء به في عممة الحياة المادية التي صرنا فيها مقلدين للأمم أخرى، فما ظهر عندهم نقلناه لنا، وبيننا أنه عمل حضاري وإنساني، دون معرفة منا وإدراك بأن هذا مما حثتنا عليه شريعتنا السمحة، وسبقت فيه هذه الحضارة المعاصرة بقرون عديدة، مع بيان أن العمل التطوعي في الإسلام كان شاملاً لجميع شؤون الحياة، وأنه كان بدافع ديني يبتغي فيه المتطوع الأجر من الله.

هذه هي أبرز النتائج التي استلقتها من البحث، راجياً أن أكون قد وفقت في تقديم مادة علمية ذات قيمة وأثر، وإحياء وعبر.

هذا وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

المراجع

أولاً : الكتب

- إبراهيم بيومي مرعي ومحروس خليفة. اتجاهات الرعاية الاجتماعية ومداخلها المهنية. الرياض. ١٤٠٣هـ.
- ابن بطال. شرح ابن بطال على صحيح البخاري. تحقيق مصطفى عطا. دار الكتب العلمية ط ١. ١٤٢٤هـ.
- ابن جرير الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق د. بشار عواد، وعصام الحمرستاني. ط ١. بيروت: مؤسسة الرسالة. ١٤١٥هـ.
- ابن حجر. الإصابة في تمييز الصحابة. ط ١. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤١٥هـ.
- الذهبي. سير أعلام النبلاء. تحقيق د. بشار عواد وآخرون. ط ١. بيروت: مؤسسة الرسالة. ١٤٠٥هـ.
- الزركلي. الأعلام. ط ٤. بيروت: دار العلم للملايين ١٩٧٩م.
- القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. بيروت: دار الكتاب العربي. بدون تاريخ.
- النووي. صحيح مسلم بشرح النووي. دار الفكر. بيروت. ١٤٠١هـ..
- د. أحمد كمال أحمد. تنظيم المجتمع. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية. ١٩٧٢م.
- د. عبدالله بن محمد المطوع. العمل الخيري المؤسسي. دراسة وصفية ميدانية على مؤسستين خيريتين في المملكة العربية السعودية. ط ١. الرياض: مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. سلسلة الرسائل الجامعية. ١٤٢٩هـ.
- د. محمد رواس قلعة جي ود. حامد صادق قنبي. معجم لغة الفقهاء. ط ١. بيروت: دار الفنائس. ١٤٠٥هـ.
- د. وهبة الزحيلي. الفقه الإسلامي وأدلته. ط ٢. بيروت: دار الفكر. ١٤١٧هـ.
- د. يوسف بن عثمان الخزيم. قوة التطوع. تطبيقاته السعودية. من دون تاريخ.
- رندة محمد زينو. العمل التطوعي في السنة النبوية. رسالة ماجستير في الحديث الشريفي وعلومه. كلية أصول الدين. الجامعة الإسلامية - غزة. ١٤٢٨هـ.
- عبدالكريم بكار. ثقافة العمل الخيري كيف نرسخها؟ وكيف نعممها؟ القاهرة. دار السلام للطباعة والنشر. ١٤٣٣هـ.
- محمد الطاهر بن عاشور. مقاصد الشريعة الإسلامية. ط ١. تونس. مكتبة الاستقامة. ١٣٦٦هـ.
- معجم اللغة العربية. المعجم الوسيط. ط ٢. القاهرة. ١٩٧٢م.

- ميشيل دنيكن. معجم علم الاجتماع. ترجمة إحسان محمد الحسين. بيروت: دار الطليعة. ١٩٨٦م
- ابن حجر العسقلاني. فتح الباري بشرح صحيح البخاري. ط ١. القاهرة: دار الريان للتراث. ١٤٠٧هـ.
- ابن سعدي. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تحقيق عبدالرحمن بن معلا اللويحق. ط ١. بيروت: مؤسسة الرسالة. ١٤٢١هـ.
- ابن عبد البر. الاستيعاب في معرفة الأصحاب. تحقيق علي الجاوي. ط ١. بيروت: دار الجيل. ١٤١٢هـ.
- ابن فارس. معجم مقاييس اللغة. ط ١. بيروت. دار إحياء التراث العربي.
- ابن منظور. لسان العرب. ط ٣. بيروت: دار صادر. ١٤١٤هـ.
- البخاري. صحيح البخاري. ط ٢. الرياض: مكتبة دار السلام. ١٤١٩هـ.
- د. محمد السلومي. القطاع الثالث والفرص السانحة رؤية مستقبلية. ط ١. بدون ناشر. ١٤٣١هـ.
- ثانياً: البحوث والمؤتمرات والندوات والمجلات والرسائل العلمية**
- إبراهيم حسن. العمل التطوعي من منظور عالمي. ٢٠٠١م. بحث منشور على شبكة الانترنت عبر <http://www.saaid.net/anshatah/dole.htm>
- عبدالحكيم بن محمد بلال. العمل المؤسسي معناه ومقومات نجاحه. مجلة البيان. العدد ١٤٣. رجب. ١٤٢٠هـ.
- عبدالله بن علي النعيم. العمل الاجتماعي التطوعي مع التركيز على العمل التطوعي في المملكة العربية السعودية. بحث مقدم إلى مؤتمر (العمل التطوعي والأمن). الرياض. ٢٧-٢٩/جماد الآخرة ١٤٢١هـ.
- د. عثمان بن صالح العامر. ثقافة العمل التطوعي لدى الشباب السعودي. مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية. العدد السابع. ١٤٢٧هـ.
- د. محمد عبدالفتاح شاهين. ود. إسماعيل بن محمد سندي. العمل التطوعي من منظور إسلامي. ورقة علمية مقدمة إلى مؤتمر "العمل التطوعي في فلسطين، واقع واحتياجات. فلسطين: رام الله. جامعة القدس المحتلة. ٢٠١٣م.
- محمد ناجي بن عطية. للمنظمات الخيرية: الواقع وآفاق التطوير. بحث منشور على موقع الإسلام اليوم. ١٠ محرم ١٤٢٨هـ. ، وهو ملخص لدراسة ميدانية غير منشورة قام بها الباحث على المنظمات الخيرية في أمانة العاصمة صنعاء. اليمن. ٢٠٠٦م.

- معجب الحويقل. العمل التطوعي. مؤتمر العمل التطوعي والأمن في الوطن العربي. أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية. الرياض. بتاريخ ٢٥-٢٧/٩/٢٠٠٠م